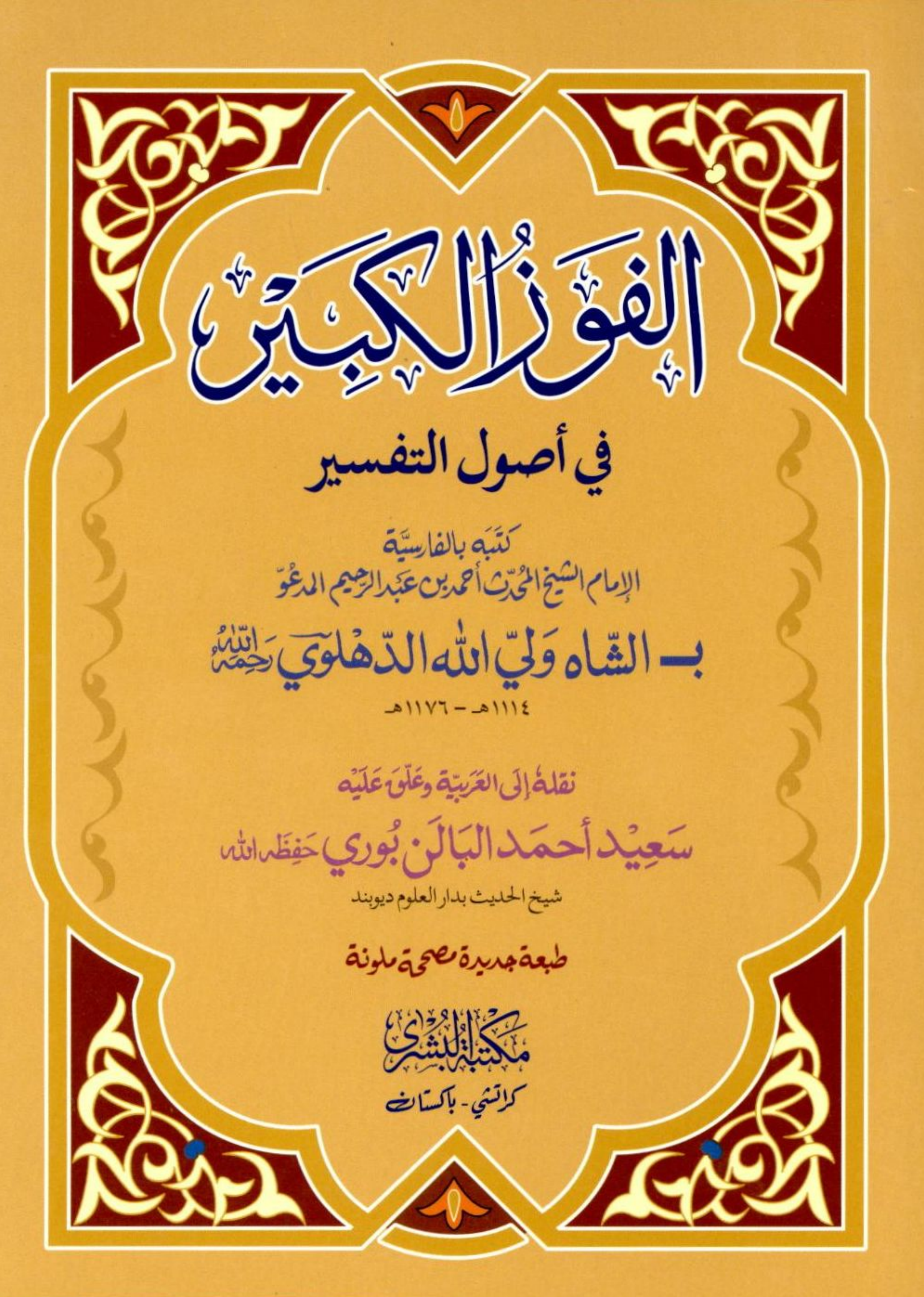

الفوز الكبير
في أصول التفسير
كتبه بالفارسية
الإمام الشيخ المحدث أحمد بن عبد الرحيم المدعو
بـ الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله
١١١٤هـ - ١١٧٦هـ
نقله إلى العربية وعلق عليه
سعيد أحمد البالن بوري حفظه الله
شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند
طبعة جديدة مصححة ملونة
مكتبة البشرى
كراتشي - باكستان



في أصول التفسير

كتبه بالفارسية

الإمام الشيخ المحدّث أحمد بن عبد الرحيم المدعو بـــ

الشّاه وَليّ الله الدّهْلوي رَحِمَهُ الله

١١١٤هـ - ١١٧٦هـ

نقله إلى العربية وعلق عليه

سَعِيْد أحمَد البَالَن بُوري حَفِظَه الله

شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند

طبعة جديدة مصححة ملونة



مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم هدى للناس، وأرسل رسوله ليبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون تحت ضوء بيانه وتوجيهه.

كان شوق السلف إلى علم القرآن كبيرا، ولذا نسمع يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته". فقام علماء هذه الأمة بعد النبي ﷺ ببيان المنهج القويم لتدبر القرآن وتفهمه من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، فما نجد في كتب التفسير من كلام الصحابة والتابعين ﷺ في أصول التفسير، أو رد الزائغين عن اتباع المتشابهات خير دليل على ما قلناه، ومن أمثال ذلك قول ابن عباس ﷺ حيث قال: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه". وغير ذلك كثير عنه وعن غيره.

ثم انتهج العلماء بعدهم على منهاجهم في بيان الحق والصواب، ورد الباطل والزيغ في هذا المجال، وأودعت جهودهم وتجاربهم في هذا المجال في الكتب؛ لتكون منارة هدى لمن يأتي بعدهم، وهكذا سنة الله في علماء هذه الأمة أنهم كلما وجدوا حاجبا نفسيا أو حاجزا خارجيا للناس من الاستفادة من معين القرآن الصافي وفهمه وتدبره بسبب العوامل التي هي مشروحة في محلها أزاحوا تلك الحجب والموانع ببيانهم الساطع، بإيجاز أحيانا وبإطناب أخرى، حسب الظروف والحاجات، وردوا الأمة إلى المحجة البيضاء في تفسير القرآن، وجهودهم في رد الأمة إلى القرآن مباركة مثمرة ومستمرة في كل زمان ومكان.

ومن تلك الجهود المباركة جهد شيخ مشايخ الهند الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، وقد قضى حياته في رد المسلمين إلى القرآن والسنة من جديد، وبذل في هذه السبيل كل ما أوتي من العلم والطاقة، وصنف كتبا ناجعة عديدة، ومن مؤلفاته رسالته الوجيزة في أصول التفسير المسمى بـ"الفوز الكبير"، وقد عرّف عنها في مقدمتها فأغنانا عن الإسهاب، فهي في الحقيقة لب اللباب في أصول التفسير، بحيث إذا أتقن الطالب دراستها وأودعها في سويداء قلبه فتح له باب تفسير القرآن، وانحلت له الإشكالات الكثيرة التي سببها عدم المناسبة بأسلوب القرآن، ومقاصده من جانب والكلام المسهب من قبل بعض المفسرين، بحيث يتيه المبتدئ، ولا يعرف ما يؤخذ وما يترك من جانب آخر، فهي حقا مصداق "ما قل ودل"، ومن ثم اختارها علماء شبه القارة في منهجهم الدراسي.

وإن مكتبة البشرى من صميم أهدافها طبع الكتب الدراسية طبق متطلبات العصر كتبة وترصيفا وطباعة وإخراجا، فقد خطونا في هذا المجال خطوة واسعة بتوفيق الله وكرمه، ثم بجهود الإخوة الباذلين ما في وسعهم، لتقديم الكتب في أفضل حلة وأحسن طباعة، فالآن نقدم للقراء الفضلاء هذه الرسالة الفريدة في بابها بترجمتها باللغة العربية لشيخ الحديث بـ دار العلوم ديوبند "مولانا سعيد أحمد البالنبوري" حفظه الله تعالى، راجين الله أن تقع موقع القبول عنده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وإليك أيها القارئ منهجنا في هذا الكتاب:

- بذلنا مجهودنا في تصحيح الأخطاء الإملائية.
- وراعينا قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، مع توزيع العبارات في الفقرات.
- وزدنا عناوين المباحث على رأس كل صفحة.
- وقمنا بتحلية سائر العناوين والنصوص القرآنية وأقوال النبي ﷺ خاصة باللون الأحمر.
- وجعلنا وظيفتنا أن نشكّل ما يلتبس أو يستشكل على إخواننا الطلبة.

وختاما هذا جهدنا بين يدي القراء الكرام فإن وفقنا فيه فالفضل لله وحده وإن كان غير ذلك فالخطأ لا يخلو منه البشر، والحمد لله بدايةً ونهايةً.

إدارة مكتبة البشرى

كراتشي باكستان

١٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاجة إلى تهذيب التعريب

الحمد لله حمدَ الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
"الفوز الكبير في أصول التفسير" صنّفه الإمام ولي الله رحمه الله لِطَلَبة العلوم الإسلامية بلغة فارسية مَحَلِّيَّة حينذاك، وكان الكتاب موجَزًا مختصرًا، فكان يدرِّس بدَوره طول حياته، ثم بعده رحمه الله لا يزال يُدرَّس في المدارس الإسلامية؛ لأن الكتاب وإن كان صغير الحجم، ولكنه أجدى من تفاريق العصا، وأنفعُ من الغيث في أوانه.

ومضى على تصنيفه زمن طويل، والطلاب يقرؤونه برغبة تامة، واهتمام بالغ في أرجاء الهند؛ لأن اللغة الفارسية كانت رائجة في الهند، فلما انقضى عصرها بالهند أحسَّ عالم هندي بحاجة البلاد، فترجمه إلى اللغة العربية، وأخفى اسمَه، ونسب ذلك الترجمةَ إلى الشيخ محمد منير الدمشقي، صاحب المطبعة المنيرية الشهيرة بدمشق، ولكن كان في الترجمة هُجْنة وسقط وغموض وتسامح في مواضع عديدة، وكانت الحاجةُ ماسَّةً إلى تهذيب الترجمة.

وقبل ربع قرن خدمت الكتاب بشرحي "العون الكبير"، فأحسستُ حينذاك بالخلل، وشعرت بحاجة إلى مقابلة الترجمة بالأصل الفارسي، فقمت بهذا الواجب حيثما وجدت الغموض في التعبير أو الخلل في العبارة، أو التسامح في أداء الغرض، ونبهت عليه في الشرح، ووضعتُ الترجمة الصحيحة في الشرح ولم أغير أصل الكتاب.

ولا يزال العون الكبير يُطبع من سبائك حديدية، حتى ذهب رُواؤها وبهاؤها، فأردت طبع الكتاب بالكمبيوتر، فنظرت في الكتاب مرة أخرى فلم يعجبني الأسلوب، ووقفت في أثناء ذلك على

أخطاء كثيرة جديدة، فمسّت الحاجة إلى المراجعة مرة أخرى.

وكذلك القائمون بتدريس الكتاب في دارالعلوم ديوبند، وكذا في الدُّور الأخرى في البلاد، أصروا عليَّ مرات وكرات أن أقوم بتهذيب التعريب وتوضيحه، فقمت بواجبي - بتوفيق المليك الوهاب — نحو الكتاب، وأفرغت الجهد في تحرير الترجمة، وجعلت الترجمة القديمة أصلاً، وغيرت العبارة في مواضع الضرورة، وعلَّقت في مواضع الحاجة بالاختصار، فمن يريد التفصيل فليرجع إلى شرحي "العون الكبير"، وكذا رقمت الكتاب وَعَنوَنتُه من جديد، والحمد لله.

وأخيرًا أعتذر إلى الأساتذة البارعين الشارحين للكتاب باللغة الأردوية، وألتمس منهم أن يغيروا شروحهم طبقَ هذه الترجمة المهذَّبة، وكذا إلى قرَّاء العربية من خلط الأردو بالعربي في بعض التعليقات؛ لأن ذلك لتزويد الناشئين، تقبَّل الله مساعينا لصالح دينه القويم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

سعيد أحمد البالن بوري

١٤١٨/٣/١٧ هـ

ترجمة الإمام المصنف
في سطور

هو أبو عبد العزيز قطب الدين ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدِّهلَوي الهندي، وُلد في عهد عالمگير سنة ١١١٤ هـ، وتوفي إلى رحمة الله في المحرم سنة ١١٧٦ هـ بمدينة دهلي.

كان رحمه الله من عباقرة الهند، وممن يُشار إليهم بالبنان:

العالم الفاضل النحرير، أفضل من بثَّ العلوم فأروى كلَّ ظمآن، أحيا الله به وبأولاده وبتلاميذه، ثم بتلاميذهم، الحديث والسنة بالهند، وعلى كتبه وأسانيده المدارُ في الديار الهندية، فمثله كمثل شجرة طوبى، أصلها في بيته وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين.

وقد صنف الإمام ولي الله في العلوم كلها، لاسيما في الحديث والتفسير وأصولهما، وتصانيفه تشهد بعلو كعبه وتبحره وغزارة علمه وسعة نظره في العلوم الشرعية عن آخرها، ولنذكر هنا بعضها:

(١) ترجَّم الفرقان الحميد إلى اللغة الفارسية على شاكلة النظم العربي في قدر الكلام، وخصوص اللفظ وعمومه، أسماها بفتح الرحمن.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير بالفارسية، وهذا الكتاب تعريبه.

(٣) المسوّى شرح الموطأ (بالعربية).

(٤) المصفّى شرح الموطأ (بالفارسية).

(٥) الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد.

(٦) حجة الله البالغة في أصول الدين وعلم أسرار الشريعة، وهو كتاب فريد في بابه، لم يسبقه مثله، و لم يُنسَجْ على مِنواله بعده.

(٧) عِقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد.

(٨) الإنصاف في بيان سبب الاختلاف.

(٩) المقدِّمة السَّنيَّة في انتصار الفرقة السُّنِّية.

(١٠) إزالة الخَفاء عن خلافة الخلفاء، وهو كتاب ماتع عديم النظير في بابه.

(١١) قرة العينين في تفضيل الشيخين.

(١٢) التفهيمات الإلهية، وغير ذلك من الكتب المفيدة التي بلغ عددها إلى خمسين كتابًا.

وكان رحمه الله على مذهب أبي حنيفة رحمه الله لا يخرج في العمل عنه قيد شبر، وأما في الدرس والتصنيف فكان طلقاً حر البحث، كما كتب هو بنفسه في آخر نسخة "صحيح البخاري"، المحفوظة بمكتبة خدا بخش بعظيم آباد (پٹنہ)، ونصُّه: "كتبه بيده الفقير إلى رحمة الله الكريم الودود ولي الله أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور بن أحمد بن محمود - عفا الله عنه وعنهم، وألحقه وإياهم بأسلافهم الصالحين - العمري نسباً، الدهلوي وطناً، الأشعري عقيدةً، الصوفي طريقةً، الحنفي عملاً، والحنفي الشافعي تدريسًا، خادم التفسير والحديث والفقه والعربية والكلام، وله في كل ذلك تصانيف، والحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطناً، ذي الجلال والإكرام، وكان ذلك يوم الثلاثاء لثالث وعشرين من شوال سنة ١١٥٩ هـ".

وكذا لكونه حنفيًّا قرائنُ عديدةٌ مصرَّحة ومستنبطةٌ من كتبه، ليس هذا محل بيانها.

علم التفسير

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين.

واصطلاحاً: علم يُبحث فيه عن القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

فخرج علم القراءات، فإنه علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث ضبط ألفاظه، وكيفية أدائها، وقولُنا: "بقدر الطاقة البشرية" لبيانِ أنه لا يَقدَح في العلم بالتفسير عدمُ العلم بمعاني المتشابِهات ولا عدمُ العلم بمراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر.

وموضوعه: كلام الله تعالى من حيث دلالته على مراد الله تعالى.

وغرضه: الاهتداء بهداية الله تعالى، والتمسك بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية.

وفضائله: كثيرة، منها:

١- تكفّل الله تعالى بنفسه ببيان كلامه الشريف، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٩) فالله تعالى هو المفسِّر الأول لكلامه القديم، وكفى به فضيلةً.

٢- جُعل تفسيرُ القرآن الكريم وظيفةَ النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤) فبينه ﷺ بقوله وفعله، فهو المفسر الثاني لكتاب الله المثاني، وكفى به قُدوةً.

٣- دعا النبي ﷺ لابن عمّه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: "اللّهمّ علّمْهُ الْكِتاب" (رواه البخاري)، وفي رواية: "اللهم علِّمهُ التأويل" (رواه الحاكم)، وشهد بِلَباقتِهِ وَعَبقَرِيَّتِهِ عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: "نِعْمَ ترجمان القرآن ابْنُ عباس" (رواه الحاكم)، فهل فوق ذلك من فخر؟

٤- وجُعل خيرُ الناس من تعلّم القرآن وعلّمه الناس، هذا عام لألفاظ القرآن ومعانيه، بل هو أولى، ونَاهِيكَ به من عُلْياءَ.

التفسير والتأويل: هما بمعنى واحد عند المتقدمين، وأما عند المتأخرين فقال الإمام أبو منصور الماتريدي:

التفسير: القطع بأن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عَنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه.

والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله (راجع الإتقان النوع ٧٧).

والتفسير بالرأي: هو التفسير بالهوى، والتفسير من عند نفسه بحيث يوجب تغييرًا لمسألة إجماعية قطعية، أو تبديلاً في عقيدة السلف الْمُجْمَع عليها، وأما التفسير بالدليل والقرينة فهو تفسير صحيح معتبر في الشرع، ومن يطالع كتب التفسير يجدها مشحونة بمثل هذه التفاسير، فلا ضير فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

آلاءُ الله تعالى على هذا العبد الضعيف لا تُعَدُّ ولا تحصى، وأجلُّها التوفيق لفهم القرآن العظيم. **ومِنَنُ** صاحب النبوة والرسالة عليه الصلاة والسلام وعلى أحقر الأمَّة كثيرة، وأعظمُها تبليغُه ﷺ الفرقانَ الكريم، **لقَّن** النبي ﷺ القرآن **الجيلَ الأول**، وهم أبلغوه **للجيل الثاني وهلُمَّ جرًّا**، حتى بلغ هذا الضعيفَ أيضًا حظٌّ من روايته ودرايته.

اللهم صلِّ على هذا النبي الكريم سيِّدنا ومولانا وشفيعنا أفضلَ صلواتك، وأيمن بركاتك، وعلى آله وأصحابه، وعلماء أمته أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد فيقول الفقير ولي الله بن عبد الرحيم – عاملَها الله تعالى بلطفه العظيم –: لما فتح الله تعالى عليَّ باباً من فهم كتابه المجيد، خطر ببالي أن أجمع وأقيِّد بعضَ **النكاتِ** النافعة التي تنفع الأصحابَ في رسالة مختصرة، والمرجُوُّ من لُطف الله الذي لا انتهاء له ، أن يفتح لطلبة العلم بمجرد فهم هذه القواعد شارعًا واسعًا في فهم معاني كتاب الله، بحيث لو صرفوا عُمُرَهم في مطالعة التفاسير، والقراءةِ على المفسِّرين على أنهم أقلُّ قليلٍ في هذا الزمان، لم تَتحَصَّل لهم هذه الفوائد بهذا الضبط والربط. وسمَّيتها بـــ "الفوز الكبير في أصول التفسير"، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ، وهو حسبي، ونِعمَ الوكيل.

آلاءُ: جمع الإِلْي، والإلى، والألى: النعمة. **ومِنَنُ:** جمع المِنة : الإحسان. **لقَّن:** لقَّنه الكلامَ: فهَّمه إياه مشافهة.
الجِيْل الأول: هم أصحاب النبي ﷺ. **للجيل الثاني:** هم جماعة التابعين. **هلم جرًّا:** تعبير يقال لاستدامة الأمر واتصاله.
النكاتِ: جمع النكتة، وهي المسألة العلمية اللطيفة، التي أخرجت بدقة نظر، وإمعان فكر، والمراد بها هُنا: الفوائد النافعة.

ومقاصد هذه الرسالة منحصرة في خمسة أبواب:

الباب الأول: في بيان العلوم الخمسة، التي يدلُّ عليها القرآن العظيمُ نصًا، وكأنَّ نزولَ القرآن بالإصالة كان لهذا الغرض.

الباب الثاني: في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أهل هذا العصر، وإزالةِ ذلك الخفاء بأوضح بيان.

الباب الثالث: في بيان لطائف نظم القرآن، وشرحِ أسلوبه البديع، بقدر الطاقة والإمكان.

الباب الرابع: في بيان مناهج التفسير، وتوضيح الاختلاف الواقع في تفاسير الصحابة والتابعين.

الباب الخامس: في ذكر **جُملَةٍ صالحةٍ** من شرح غريب القرآن، وأسباب النزول التي يجب حفظُها على المفسر، ويمتنع ويَحرُمُ الخوض في كتاب الله **بدونها**.

جُمْلَةٍ صالحةٍ: أي مقدارًا كافياً. بدونها: أسقط الناشرون للفوز الكبير البابَ الخامس منه لعدم شموله في الدرس.

الباب الأول

في بيان العلوم الخمسة التي يدل عليها القرآن العظيم نصًّا

لِيُعلم أن معاني القرآن المنصوصة لا تخرج عن خمسة علوم:

١- علم الأحكام: وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات، أو من قسم **المعاملات**، أو من **تدبير المنزل**، أو من **السياسة المدَنيَّة**. وتفصيل هذا العلم **منوط** بذمة الفقيه.

٢- علم الجدل: وهو المحاجَّة مع الفِرَق الأربع الضالَّة من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، وتبيان هذا العلم منوط بذمة المتكلم.

٣- **علم التذكير** بآلاء الله: وهو بيان خلق السماوات والأرض وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان صفات الله الكاملة.

٤- علم التذكير **بأيام الله**: وهو بيان الوقائع التي أحْدَثها الله سبحانه وتعالى من قبيل تنعيم المطيعين، وتعذيب المجرمين.

٥- علم التذكير بالموت وما بعدَه: من الحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار.

وتفصيل هذه العلوم الثلاثةِ، وذكرُ الأحاديث والآثار المتعلقة بها يرجع إلى الواعظ والمذكِّر.

المعاملات: مسائل باحثة عن كيفية إقامة المعادلات والمعاونات، والاكتسابات فيما بين الناس (فن معاملات: وہ علم ہے جس میں ترقی یافتہ تمدن یعنی شہری زندگی میں تبادلہ اشیاء تعاون باہمی اور ذرائع معاش کو وجود میں لانے کی صورتوں سے بحث کی جاتی ہے). **تدبير المنزل:** حكمة باحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المنزل (فن تدبیر منزل: وہ علم ہے جو ترقی یافتہ تمدن میں خاندانی تعلقات کی نگہداشت سے بحث کرتا ہے). **السياسة المدنيّة:** حكمة باحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المدينة (سیاست المدینہ یعنی انتظام مملکت، یہ وہ فن ہے جس میں کسی ایک شہر یا ایک ملک کے لوگوں کے درمیان ربط و تعلق کو محفوظ رکھنے کے طریقوں سے بحث کی جاتی ہے)، والمراد من المدينة: جماعة متقاربة تجرى بينهم المعاملات ويكونون أهل منازل شتّى. **منوط:** المعلَّق، يقال: هذا منوطٌ به أى معلَّق به.

علم التذكير: ذكَّره الشيء وبالشيء: جعله يذكره، وذكَّر القوم: وعظهم. **بأيام الله:** نِعَمُه ونِقَمُه كقصص الأنبياء وأقوامهم، وأيام العرب: حروبهم وملاحمهم كيوم ذي قار، ويوم الفُجار.

أسلوب القرآن الكريم في عرض العلوم الخمسة:

وإنما وقع بيان هذه العلوم على أسلوب العرب الأولين، لا على منهاج العلماء المتأخرين، فلم يلتزم سبحانه وتعالى في آيات الأحكام اختصارًا يختاره أهل المتون، ولا تنقيح القواعد من قيود غير ضرورية، كما هو صَناعة الأصوليين، واختار سبحانه وتعالى في آيات المخاصمة إلزامَ الخصم بالمشهورات **المسلَّمة والخطابيات النافعة** لا تنقيحَ **البراهين** على طريقة المنطقيين، ولم يراع سبحانه وتعالى المناسبة في الانتقال من موضوع إلى موضوع، كما يراعيها الأدباء المتأخرون، بل نشر كل ما **أهمَّ** إلقاؤه على العباد، سواء كان مقدمًا أو مؤخرًا.

لا يحتاج كل آية إلى سبب النزول:

وقد ربط عامة المفسرين كلَّ آية من آيات الجدل والأحكام بقصة، ويظنون أن تلك القصة هي سبب نزولها. والحق أن القصد الأصلي من نزول القرآن هو تهذيب النفوس البشرية، ودمغُ العقائد الباطلة، ونفي الأعمال الفاسدة، فوجود العقائد الباطلة في خواطر المكلَّفين سبب لنزول آيات الجدل، ووجود الأعمال الفاسدة وشيوع المظالم فيما بينهم سبب لنزول آيات الأحكام، وعدمُ تيقُّظهم وتَنَبُّههم بغير ذكر آلاء الله، وأيام الله، ووقائع الموت وما بعدَه سبب لنزول آيات التذكير.

و أما الأسباب الخاصة والقصص الجزئية التي تجشَّم المفسرون بيانها فليس لها مدخل في ذلك، يُعتدُّ به، إلا في بعض الآيات الكريمة، حيث وقعت الإشارة فيها إلى حادثة من الحوادث التي وقعت في عهد النبي ﷺ، أو قبله، ولا يزول ما يَعْرِض للسامع من الترقُّب والانتظار عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط القصة، فلزم أن نشرَح هذه العلوم بوجهٍ لا نحتاج إلى إيراد **القصص الجزئية**.

المسلَّمة: أي المسلّمة عند عوامهم وخواصهم. **والخطابيات النافعة:** قياس مؤلَّف من المظنونات أو المقبولات، والخطابة بفتح الخاء مصدر. **البراهين:** قياس مؤلف من اليقينيات سواء كانت بديهيات أو نظريات منتهية إلى البديهيات. **أهمّ:** أهمّ الأمر فلانًا: أثار اهتمامه. **القصص الجزئية:** ذكر الإمام المصنف في الفصل الأول علمَ الجدل مع الفرق الأربع الضالة، وفي الفصل الثاني بقية العلوم الخمسة، فبدأ بعلوم التذكير الثلاثة، ثم ثَنّى بمباحث الأحكام، ففي الكلام لف ونشر مشوّش، فتنبه له.

الفصل الأول
في علم الجدل

قد وقعت المخاصمة في القرآن العظيم مع الفِرَقِ الأربع الضالّة: المشركين، واليهودِ، والنصارى، والمنافقين. وهذه المخاصمة على طريقين:

الأول: أن يذكر سبحانه وتعالى العقيدة الباطلة مع التنصيص على شناعتها، ويذكر استنكارها فحسب.

والثاني: أن يُبيِّنَ شُبُهاتِهم الواهية ويَذكر حلّها بالأدلة البرهانية أو الخطابية.

ذكر المشركين:

وقدكان المشركون يُسَمُّون أنفسهم **حنفاء** ويدَّعون التديُّن بملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وإنما يقال: "الحنيف" لمن تديَّن بالملة الإبراهيمية والتزم شعارها.

شعائر الملّة الإبراهيمية:

وشعائرها: حِجُّ البيت الحرام، واستقباله في الصلوات، والغسل من الجنابة، والاختتان، وسائر **خِصال الفطرة**، وتحريم الأشهر الحرم، وتعظيم المسجد الحرام، وتحريم المحرمات النسبية والرّضاعيّة، والذّبح في الحلقِ، والنَّحر في الّلبَّة، والتقرب بالذبح والنحر إلى الله تعالى، لاسيما في أيام الحج.

شرائعها:

وقد كان الوضوء، والصلاة، والصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والصدقة على اليتامى والمساكين، والإعانة على نوائب الحق، وصلة الأرحام مشروعة في أصل الملة، وكان التمدّح بهذه

علم الجدل: يقال لعلم الجدل: علم المناظرة والمخاصمة أيضًا، والمراد به هنا: أن النفوس السِّفلية إذا تولّدت بينها شُبُهات تُدافع بها الحقَ، فكيف تُحَلّ تلك العُقد؟. **حنفاء:** جمع حنيف على زِنَة فعيل: المائل عن الأديان كلها إلى الدين القويم، من الحنف وهو الميل، وفي الاصطلاح: كل من كان على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو حنيف. **خصال الفطرة:** هي قص الشارب، وإعفاءُ اللّحيَةِ، والسِّواكُ، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغَسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء يعني الاستنجاء، قال الراوي: ونسيتُ العاشرة إلا أن تكون المضمضةَ، (رواه مسلم مشكاة رقم الحديث: ٣٧٩)، وفي رواية: الخِتَان بدل إعفاء اللحية (رواه أبو داود عن عمار بن ياسر رضي الله عنه).

الأعمال شائعًا فيما بينهم، إلا أن جمهور المشركين قد تركوها، حتى صارت هذه الأعمال في حياهم العملية كأن لم تكن شيئاً.

وقد كان تحريم القتل والسرقة والزنا والربا والغصب أيضاً ثابتًا في أصل الملة، وكان استنكار هذه الأفعال باقياً عندهم في الجملة، ولكنَّ جمهورَ المشركين كانوا يرتكبونها، ويتَّبعون النفس الأمَّارة فيها.

عقائدها:

وقد كانت عقيدة إثبات الصانع سبحانه وتعالى، وأنه هو خالق الأرض والسماوات العُلى، وأنه مدبِّر الحوادث العظام، وأنه قادر على إرسال الرسل وجزاءِ العباد بما يعملون، وأنه مقدِّر للحوادث العظيمة قبل وقوعها، وأن الملائكة عباده المقرَّبون، وأنهم يستحقوق التعظيم، كلٌّ ذلك كان ثابتًا عندهم، ويدل على ذلك أشعارهم، ولكنَّ جمهور المشركين قد وقعوا في شبهات كثيرة تُجاهَ هذه المعتقَدات لاستبعادها وعدم ألفتهم بإدراكها.

ضلال المشركين:

وكان من ضلالهم الشرك، والتشبيه، والتحريف، وجحود الآخرة، واستبعاد رسالة النبى ﷺ، وشيوع الأعمال القبيحة والمظالمِ فيما بينهم، وابتداع التقاليد الباطلة، واندراس العبادات.

بيان الشرك:

والشرك: أن يُثبت لغير الله تعالى شيئًا من الصفات المختصة به تعالى، كالتصرف في العالَم بالإرادة - الذي يعبر عنه بـ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ - أو العلم الذاتي - غير المُكتسب بالحواس، ودليل العقل، والمنام، والإلهام ونحو ذلك - أو الإيجاد لشفاء المريضِ، أو اللّعنِ على شخص، والسخطِ عليه حتى يُقدَر عليه الرزق، أو يَمرض، أو يشقى بسبب ذلك السخط، أو الرحمة لشخص حتى يُبسَط له الرزقُ، ويَصِحَّ بدنه، ويَسعَدَ بسبب **هذه الرحمة**.

هذه الرحمة: والحاصل: أن الصفاتِ المذكورة من التصرف في الكون، والعلم الذاتي، وإيجاد الشفاء، واللعن، والسخط، والرحمة كُلُّها مختصة بالله تعالى، فمن أثبت شيئًا منها لغيره تعالى فقد أشرك.

ولم يكن هؤلاء المشركون يشركون أحدًا في خلق **الجواهر**، وتدبير الأمور العظام، ولا يُثبتون لأحد قدرة **الممانعة** إذا **أبرم** الله تعالى أمرًا، وإنما كان إشراكهم في أمور خاصة ببعض العباد، ويظنون أن سلطاناً عظيماً من السلاطين كما يرسل عبيده المخصوصين إلى نواحي مملكته، ويجعلهم مختارين متصرفين في أمور جزئية إلى أن يصدر عنه حكم صريح في أمر خاص، ولا يقوم بشؤن الرعية وأمورهم الجزئية بنفسه، بل يَكِلُ الرعيةَ إلى الولاة والحكام، ويقبل شفاعتهم في حق الذين يخدمونهم، ويتوسلون بهم، كذلك قد خلع الملِك **على الإطلاق** على بعض عباده خِلْعةَ الألوهية، وجعل سخطهم ورضاهم مؤثرًا في عباده الآخرين. فيرون **التزلُّف** إلى أولئك العباد المقربين واجبًا ليتيسر لهم حسن القبول في حضرة الملك المطلق، وتُقبل شفاعتهم للمتقرِّبين بهم في **مجاري الأمور**.

وكانوا يجوِّزون نظرًا إلى هذه الأمور: أن يُسجد لهم، ويُذبح لهم ويُحلف بهم، ويستعان بقدرتهم المطلقة في الأمور المهمة. ونحتوا صُوَرًا كصورهم من الحجر والصُّفر وجعلوها قبلة للتوجه إلى تلك الأرواح، حتى اعتقد الجهال شيئًا فشيئًا تلك الصُّورَ معبودة بذواتها، **فتطَرَّقَ** الفساد العظيم إلى المعتقدات.

بيان التشبيه:

والتشبيه: عبارة عن إثبات الصفات البشرية لله تبارك وتعالى، فكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، وإنه تعالى يقبل شفاعة عباده، وإن لم يرضَ بها، كما يفعل الملوك أحياناً مثل ذلك مع الأمراء الكبار، ولما لم يستطيعوا إدراكَ علمِه تعالى وسمعه وبصره كما يليق بشأن الألوهية، قاسوها على علمهم وسمعهم وبصرهم، فوقعوا في عقيدة **التجسيم**، ونسبوا التحيز إلى الله تعالى شأنه.

الجواهر: جمع الجوهر، وهو ما قام بنفسه، ويقابله العرض، والمراد: المكوّنات المادية. **الممانعة**: المنازعة. **أبرم**: أبرم الأمر: أحكمه. **على الإطلاق**: أى الكامل في التصرف، يفعل ما يشاء، من أطلق له التصرف: أباحه. **التزلف**: التقرُّب. **مجاري الأمور**: هي ما دون الأمور العظام. **فَتَطَرَّق**: تطرق إليه: ابتغى إليه طريقًا. **التجسيم**: عقيدة أن الله تعالى له جسم كأجسامنا. والتحيز: عقيدة أن الله تعالى متمكن فى مكان.

بيان التحريف:

وأما التحريف فإن قصته: أن أولاد سيدنا إسماعيل عليه السلام كانوا على شريعة جدِّهم الكريم سيدِنا إبراهيمَ عليه السلام، حتى جاء عصر **عمرو بن لُحَيٍّ** - لعنه الله - فوضع لهم الأصنامَ، وشرع لهم عبادتَها، واخترع لهم تحريرَ البحائر والسوائب والْحَامِي، والاستقسامَ بالأزلام، وأمثالَ هذه **الطُّقوس**.

وقد كان **هذا الحادث** قبل بعثة النبي ﷺ بقرابةِ ثلاثِ مائةِ سنةٍ، وكانوا يتمسكون في **هذا الباب** بآثار آبائهم، ويرونها من الحجج القاطعة.

جحود الآخرة:

وقد بين الأنبياء السالفون الحشر والنشر، ولكن لم يكن ذلك البيان بشرح وبسط مثلَ ما تَضَمَّنه القرآن العظيم، ولذلك كان جمهور المشركين قليلي الاطلاع عليه، وكانوا يستبعدون وقوعه.

استبعاد رسالة النبي ﷺ:

وهؤلاء الجماعة وإن كانوا معترفين بنبوة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، بل بنبوة سيدنا **موسى** عليه السلام **أيضًا**، ولكن كانت الصفات البشرية، التي هي حجاب **لجمال الأنبياء الكامل**، تشوِّشُهم **تشويشًا**، وكذلك لما لم يعرفوا حقيقة تدبير الله الذي هو مقتضى بعثة الأنبياء، استَبعَدُوا الرسالةَ، لاعتقادهم أن الرسول ينبغي أن يكون مثل المرسِل، فكانوا يوردون لأجل ذلك شبهاتٍ واهيةً غير مسموعةٍ، فيقولون مثلاً: كيف يكون النبي محتاجًا إلى الطعام والشراب؟ ولماذا لم يرسل الله مَلَكًا رسولاً؟ ولماذا لا يُوحى إلى كل أحد على حدة؟ وعلى هذا الأسلوب.

عمرو بن لُحَيٍّ: من قحطان، كنيته أبو ثـمامة، وفي نسبه اختلاف شديد، ويُظن أنه كان في أوائل القرن الثالث من الميلاد. **الطقوس:** جمع الطَّقْس: وهي المراسيم الدينية. **هذا الحادث:** يعني وقعة عمرو بن لحي. **هذا الباب:** يعني في جواز عبادة الأصنـام. **موسى عليه السلام أيضًا:** أي مع كونه عليه السلام من غير آبائهم. **لجمال الأنبياء الكامل:** أي تحول تلك الصفات بين الأنبياء وبين جمالهم الحقيقي، وتَحجِبُهُم، فلا يدركون ذاك الجمال الكامل لجهلهم. **تشويشًا:** شوَّش الأمر: صَيَّره مضطربًا.

نموذج المشركين:

وإن كنت غيرَ مُهتدٍ في **تصوير** حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم، فانظر إلى حال **المحترفين** من أهل عصرنا، لاسيما الذين يقطُنون منهم بأطراف **دار الإسلام** ما هي تصوراتهم عن "الولاية"؟ فمع أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في هذا العصر من قبيل المستحيلات، ويذهبون إلى القبور والعتبات، ويرتكبون أنواعًا من **الشرك**، وكيف تَطَرَّق إليهم التشبيهُ والتحريف؟ ونرى طَبقَ الحديث الصحيح: "لتتَّبِعُنَّ سنَنَ من كان قبلكم"* أنه ما من بلية من البلايا إلا وطائفة من أهل عصرنا يرتكبونها ويعتقدون مثلها، عافانا الله سبحانه وتعالى من ذلك.

وبالجملة فإن الله تعالى بعث سيد الأنبياء ﷺ بفضله ورحمته في العرب، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، و**خاصمهم** في القرآن العظيم، واستدل في المخاصمة بمسلّماتهم التي هي من بقايا الملّة الحنيفية ليتحقق الإلزام.

فردُّ الإشراك:

أولاً: بمطالبتهم بالدليل على ما يزعمون ونقضِ تمسكهم بتقليد آبائهم.

وثانياً: بإثبات عدم التساوي بين هؤلاء العباد وبين الرَّب تبارك وتعالى، وبيان اختصاصه تعالى باستحقاق أقصى غاية التعظيم، بخلاف هؤلاء العباد.

وثالثًا: ببيان إجماع الأنبياء على هذه المسألة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.[1]

تصوير: صوَّر الأمر: وصفه وصفًا يكشف حاله كشفًا بيناً. **المحترفين:** احترف: اتَّخذ حِرفة فهو مُحتَرِف. **دارالإسلام:** أي لِمَا أنهم يسكنون بنواحي دارالإسلام وأرجائها يكونون جاهلين من الدين. **الشرك:** أي هم لا يستفيدون من الأولياء الأحياء، بل يذهبون إلى الأموات، ويرتكبون هناك البدع والخرافات. **خاصمهم:** أي جادلهم ونازعهم.

*رواه الشيخان واللفظ لأحمد والبيهقي.

(١) الأنبياء: ٢٥.

ورابعًا: ببيان شناعة عبادة الأصنام، وأن الأحجار ساقطة عن مرتبة الكمال الإنساني، فكيف ينالون مرتبة الألوهية؟ وهذا الردُّ مسوق لقوم يعتقدون الأصنامَ **مَعبودةً لذواتها**.

وردُّ التشبيه:

أوّلاً: بمطالبتهم بالدليل على دعواهم، ونقض تمسكهم بتقليد آبائهم.

وثانياً: ببيان ضرورة التجانس بين الوالد والولد، وهو مفقود بالبداهة.

وثالثاً: ببيانِ شناعةِ نسبةِ ما هو مكروه ومذموم لديهم إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ؟﴾[1]، وهذا الردُّ مسوق لقوم اعتادوا المقدمــاتِ المشهورة، **والمتوهَّمات الشِّعْريَّة** وكان أكثرهم من هذا القبيل.

وردُّ التحريف:

أوّلاً: ببيان أنه لم يُؤْثَرُ عن أئمة الملة الحنيفية.

وثانياً: ببيان أن ذلك كلّه اختراعات وابتداعات ممن ليسوا بمعصومين.

وردُّ استبعاد الحشر والنشر:

أوّلاً: بالقياس على إحياء الأرض بعد موتها، **وما أشبه ذلك**، وتنقيح المناط الذي هو شمول القدرة، **وإمكان الإعادة**.

مَعبودةً لذواتها: وأما الذين يظنون الأصنام وسيلة التقرُّب، وقبلة التوجُّه فلا يَكبِتُهُم هذا الجواب.

والمتوهَّمات الشِّعْرِيَّة: المتوهَّمات: قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة والشعر: قول مؤلّف من المخَيَّلات، والمخيلات: قضايا يُخَيَّل بها، لتتأثر النفسُ بها قبضًا وبسطًا، فترغب فيها، سواء كانت صادقةً أو كاذبة، كقول القائل: الخَمْر ياقوتة سيَّالة، فحينئذ تنبسط النفس وترغب فيها، والعسلُ مُرَّةٌ مُهَوِّعة، فالنفس تنقبض وتتنفر عنه. **وما أشبه ذلك:** كقياس الإعادة على الابتداء. **وإمكان الإعادة:** أي نقول: إن الإعادة موقوف على أمرين: الأول: كون الإعادة ممكناً، والثاني: كون قدرة الله تعالى شاملاً عليه، وثبت كلا الأمرين، فأيُّ استحالة فيه؟.

[1] الصَّافَّات: ١٤٩.

وثانياً: ببيان موافقة أهل الكتب السماوية كلّهم في **الإخبار به**.

والردُّ على منكري الرسالة:

أولاً: ببيان وجودها في الأنبياء السابقين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

وثانيًا: بدفع الاستبعاد ببيان أن الرسالة هنا عبارة عن الوحي، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[3]، ثم يُفَسِّرُ الوحي بما لا يكون من المستحيلات، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[4].

وثالثًا: ببيان أن عدم ظهور المعجزات التي **يقترحونها** وعدمَ موافقة الله تعالى إياهم في تعيين شخص **يتوخون** رسالته وعدمَ إرساله تعالى الملائكة رسلاً، وعدم إيحائه تعالى إلى كل شخص، كُلُّ ذلك لمصلحة كلية، يقصر علمهم عن إدراكها.

ولما كان أكثر الناس الذين بعث الله إليهم الرسولَ ﷺ مشركين، ذكر هذه المعاني في القرآن الكريم في سُوَرٍ كثيرة بأساليب متعدّدة وتأكيدات بليغة، **ولم يتحاش** عن تكرارها وتَردادها، نعم هكذا ينبغي أن تكون مخاطبة الحكيم المطلق مع هؤلاء الجهلة، والكلام في مقابلة هؤلاء الجهلة، والكلام في مقابلة هؤلاء السفهاء جدير بهذا التأكيد البليغ، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

الإخبار به: أي نقول: إن الكتب السماوية كلّها متفقة في الإخبار بوقوع الحشر والنشر، فكان ذلك إجماعًا قاطعًا عليه.
يقترحونها: اقترح عليه كذا وبكذا: تحكّم وسأله إياه بالعنف، ومن غير روية. **يتوخون:** تَوَخىَّ الأمرَ: قصد إليه، وتعمَّد فِعله وتحرَّاه، يقال: توخّى رضاه وتوخى محبته. **ولم يتحاش:** تَحَاشَى عن كذا: تنزَّهَ.

[1] يوسف: ١٠٩. [2] الرعد: ٤٣. [3] حم السجدة: ٦. [4] الشورى: ٥١.

ذكر اليهود

وقد كان اليهود آمنوا بالتوراة، وكان من ضلالهم:

١- تحريفُ أحكام التوراة، سواء كان تحريفاً لفظياً أو تحريفاً معنوياً.

٢- وكتمان آيات التوراة.

٣- وإلحاق ما ليس منها بها افتراءً منهم.

٤- والتقصير في تنفيذ أحكامها.

٥- والعصبية الشديدة لديانتهم.

٦- واستنكار رسالة نبينا ﷺ وسوءُ الأدب والطعن عليه ﷺ، بل بالنسبة إلى الربِّ تبارك وتعالى أيضًا.

٧- وابتلاؤهم بالبخل والحرص ونحو ذلك من الرذائل.

بيان التحريف:

وقد تحقق لدى الفقير **أن تحريفهم اللفظيَّ** قد كان في ترجمة التوراة وأمثالها، لا في أصل التوراة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والتحريف المعنوي: هو تأويل فاسد بحمل الآية على غير معناها بتعسُّف وانحراف عن سواء السبيل.

أمثلة التحريف المعنوي:

١- فمن جملة ذلك: أن الله تعالى قد بَيَّنَ الفرق بين المتديِّنِ الفاسق والكافر الجاحد في كل ملَّة، وتوعَّد الكافر بالخلود في النار والعذاب الأليم، وجوَّز خروجَ الفاسق من النار بشفاعة الأنبياء، وصرَّح بذلك في كل ديانة باسم المتدين بتلك الديانة، فأثبت ذلك في التوراة لليهود **والعبريين**، وفي الإنجيل للنصرانيين،

أن تحريفهم اللفظيَّ: اعلم أن في التحريف ثلاثةَ مذاهبَ: ذهب جماعة إلى إنكار التحريف اللفظي رأساً، فالتحريف عندهم كله معنوي، وإليه جنح الإمام المصنف رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن التحريف اللفظي موجود فيها، ولكنه قليل، وقال جماهير العلماء: إن التحريف قد وقع في الكتب السماوية بكل نحو من اللفظي والمعنوي كثيرًا. **العبريين**: يقال لليهودي: العِبْري والعِبْرانِيُّ تسميةً لهم باسم لغتهم، وهم يسمون أنفسهم بالإسرائيلي نسبة إلى إسرائيل أى يعقوب عليه السلام.

وفي القرآن العظيم للمسلمين، ومناطُ الحكم: هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمانُ بالنبي الذي بُعث إليهم، والانقيادُ له، والعمل بشرائع ملته، والاجتناب عن نواهيها، لا تخصيص الحكم بفرقة من الفرق لذاتها، ولكن اليهود زعموا أن كل من كان يهودياً أو عبرياً فهو من أهل الجنة، وتُخَلِّصه شفاعة الأنبياء من العذاب، ولا يمكث في النار إلا أياماً معدودات وإن لم يتحقق ذلك المناط، ولم يكن إيمانه بالله تعالى على الوجه الصحيح، ولم يدرك حظًّا من الإيمان بالآخرة ورسالةِ النبي المبعوث إليهم.

وهذا خطأ صرف وجهل محض، وقد كشف القرآن العظيم هذه الشبهة على أتم وجه؛ لِما أنه كان **مُهَيْمِنًا** على الكتب السابقة، مُبيِّنًا لمواضع الإشكال فيها، فقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

٢- ومن جملة ذلك: أنه تعالى قد بيَّن في كل ملَّة أحكامًا تُناسب مصالحَ ذلك العصر وروعيت في **التشريع** عاداتُ القوم الصالحةُ، وأكَّد الأمرَ بالأخذ بها وإدامةِ العمل عليها والاعتقادِ بها، وحَصْرِ الحَقِّيَّة فيها، والمراد أن الحق منحصر فيها في ذلك العصر، وأن الإدامة **عليها** إضافية لا حقيقة أي ما لم يأت نبي آخر، وما لم يُكشف الستار عن وجه رسالته.

ولكن اليهود حملوا ذلك على استحالة نسخ اليهودية، **وكان معنى** وصية التمسك بها هو الوصاية بالإيمان بالله والتمسك بالأعمال، ولم تكن خصوصيةُ تلك الملة معتبرةً لذاتها، ولكن اليهود اعتبروا الخصوصية، فظنوا أن يعقوب عليه السلام وصّى بنيه بالتمسك باليهودية أبدًا.

٣- ومن جملة ذلك: أن الله تعالى شرَّف الأنبياء، والتابعين لهم بإحسان في كل ملَّة بوصف المقرَّب والمحبوب، ووصف الذين ينكرون الملة بالمغضوب، وأطلق في هذا الباب لفظاً شائعاً في كل قوم،

مُهَيْمِنًا: هَيْمَنَ على كذا: سَيْطر عليه ورَاقَبه وحفظه. **التشريع:** سَنُّ القوانين. **عليها:** ضمائر التأنيث كلها ترجع إلى الملة. **وكان معنى إلخ:** هذا جواب سؤال مطوي، وهو أن اليهود يدعون أن يعقوب عليه السلام يوم مات وصّى بنيه بالتمسك باليهودية، فيستدلون بتلك الوصية على استحالة نسخ اليهودية، والجواب: أن ذلك افتراء منهم على يعقوب عليه السلام، ولم يكن معنى وصيته هذا، بل كان معناه إلخ.

[1] البقرة: ٨١.

فلا عجب لو استعمل كلمة "الأبناء" مقام المحبوبين، ولكن ظن اليهودُ أن هذا التشريف دائر مع اسم اليهودي والعبري والإسرائيلي، ولم يعرفوا أنه دائر مع صفة الانقياد والخضوع، والسير على الحق الذي أنزله الله على الأنبياء لا غير.

وقد **ارتكز** في خواطرهم كثير من التأويلات الفاسدة من هذا القبيل، وتلقّوها وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم، **فَدَحَضَ** القرآن الكريم هذه الشبهاتِ على أتم وجه.

بيان كتمان الآيات:

أما كتمان الآيات فهو أنهم كانوا يُخفون بعض الأحكام والآيات للمحافظة على جاهٍ شريفٍ، أو لطلب منصب عزيز؛ لئلا يتلاشى اعتقادُ العامَّة فيهم، ولا يُلاموا على ترك العمل بتلك الآيات.

أمثلته:

١- فمن جملة ذلك: أن حكمَ رجم الزاني مصرَّحٌ في التوراة، ولكنهم أهملوه لإجماع **أحبارهم** على إهماله، وإقامةِ الجَلد **وتسخيم** الوجه مقامه، وكانوا يخفون تلك الآياتِ خشيةَ الفضيحة.

٢- ومن جملة ذلك: أن **الآيات** التي فيها بشارة ببعثة نبي في أولاد **هاجر** وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، والتي فيها إشارة إلى وجود ملَّة يتم ظهورها وشهرتها في أرض الحجاز وتمتلئ بها جبال عرفة من التلبية، ويؤم الناس ذلك الموضع من الأقطار والأمصار، وهي ثابتة في التوراة حتى اليوم، فكان اليهود يتأولونها بأن ذلك إخبار بوجود تلك الملة وليس فيها أمر باتباعها، وكانوا يرددون هذه الكلمة "**مَلحمةٌ كُتبت علينا**".

ولِمَا أن هذا التأويل الركيك لا يسمعه أحد ولا يصح عند أحد، كانوا يتواصَون فيما بينهم بإخفائها،

ارتكز: ارتكز الشيءُ: ثبت واستقر في محله. **فَدَحَضَ**: دَحَضَ الحجَّة: أبطلها ودفعها. **أحبارهم**: الأحبار جمعُ حِبْر بفتح أوله وبكسره: العالم الكبير عند النصارى، ورئيس الْكَهَنَة عند اليهود. **وتسخيم**: سخَّم الله وجهه: سوَّده، والسخم: السواد. **الآيات**: يعني آيات التوراة. **هاجر**: هاجر على زنة فاعل: أم إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ويقولون: آجرُ فيبدلون الهمزة من الهاء. **مَلحمةٌ كُتبت علينا**: أي كانوا يقولون: كُتب علينا الحرب الشديد مع النبي الذي سيظهر في أولاد إسماعيل فكأننا أمرنا بمخالفته لا باتباعه.

ولايسامحون بإظهارها على كل عام وخاص، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾[1].

ما أجهلهم! هل يمكن أن تُحمَل مِنَّةُ الله تعالى على هاجر و إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بهذه المبالغة، وذكرُ هذه الأمة بهذه الفضيلة على الإخبار بوجود تلك الملة، ولا يكون فيه حث وتحريض على اتباع هذا الدين؟! سُبْحَانَكَ هَذَا إِفْكٌ عَظِيْمٌ!

بيان الافتراء:

أما **الافتراء** فأسبابه:

١- دخول التعمُّق والتشدُّد على أحبارهم ورهبانهم.

٢- والاستحسان أى استنباط بعض الأحكام بناءً على إدراك المصالح فيها بدون نص من الشارع.

٣- وترويج الاستنباطات الواهية.

فأتباعهم ألحقوها **بالأصل** زعماً منهم أن اتفاق سلَفهم على شيء من الحجج القاطعة، فلم يكن عندهم مستَنَد في إنكار نبوة عيسى عليه السلام إلا أقوال سلفهم، وكذلك كان حالهم في كثير من الأحكام.

سبب التساهل وارتكاب المناهي:

وأما التساهل في تنفيذ أحكام التوراة، وارتكابُ البخل والحرص، فظاهرٌ أنه من مقتضيات النفس الأمارة، وهي تغلب الناسَ جميعًا إلا من شاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾[2]. ولكن هذه **الرذيلة** قد تلوَّنت في أهل الكتاب بلون آخر، وهو أنهم كانوا يتكلفون تصحيحَها بتأويل فاسد، وكانوا يُبرزونها في صبغة الدين.

الافتراء: الافتراء على الله: نسبة ما يكتبونه بأيديهم إلى الله تعالى، وإلى التوراة. **بالأصل:** أى بأصل الكتاب والشريعة. **الرذيلة:** ضد الفضيلة، والجمع رذائل.

[1] البقرة: ٧٦ . [2] يوسف: ٥٣.

أسباب استبعاد رسالة سيدنا محمد ﷺ:

وأما استبعاد رسالة سيدنا محمد ﷺ، فأسبابه:

١- اختلاف عادات الأنبياء وأحوالهم في إكثار التزوج والإقلال منه، وما أشبه ذلك.

٢- واختلاف شرائعهم.

٣- واختلاف سنة الله تعالى في معاملة الأنبياء.

٤- وبعثة النبي ﷺ من بني إسماعيل بعد ماكان جمهور الأنبياء من بني إسرائيل.

٥- وأمثال هذه الأسباب.

النبوة ومنهجها في إصلاح الناس:

والأصل في هذه المسألة أن النبوة كائنةٌ لإصلاح نفوس الناس، وتهذيب عباداتهم وتعديل عاداتهم، لا لإنشاء أصول البر والإثم، ولكل قوم عادات في العبادات، وتدبير المنزل، والسياسة المدنِيَّة، فإذا ظهرت فيهم النبوة فلا تستأصل هذه العادات بالمرَّة، ولا تضع لهم عاداتٍ جديدةً، بل تميِّزُ فيما بين العادات، فما كان منها صالحاً مطابقاً لرضى الله تعالى تُبقيه وتحفظه، وما كان منها مخالفاً للأصل منافياً لرضى الله تعالى تُغيره حسب الضرورة وتعدِّله.

وكذلك يكون التذكير بآلآء الله، وبأيام الله على الأسلوب الذي هو معروف عندهم، وشائع لديهم، فهذا هو السبب في اختلاف شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

اختلاف الشرائع كاختلاف وَصَفات الطبيب:

وهذا الاختلاف في الشرائع كالاختلاف في وصفات الطبيب، فإنه إذا دبَّر أمر المريضين يصف لأحدهما دواء وغذاء باردًا، ويأمر الآخر بدواء وغذاء حار، وغرض الطبيب من معالجتهما واحد، وهو إصلاح مزاجهما، وإزالة المواد الفاسدة منهما لا غير، ويمكن أن يصف الطبيب في كل منطقة أدوية وأغذية مختلفة تلائم أهلها، وكذلك يختار في كل فصل من الفصول علاجاً مختلفاً يناسب ذلك الفصل.

كذلك لما أراد الطبيب الحقيقي - جلّ مجدُه - معالجةَ من ابتُلي بالمرض النفساني، وتقويةَ القوة الملكية، وإزالةَ الفساد الطارئ عليهم، اختلفت المعالجة بحسب اختلاف أقوام كل عصر وعاداتهم ومشهوراتهم ومسلماتهم.

أنموذج اليهود:

وعلى كلٍّ فإن أردت أن ترى **أنموذج** اليهود، فانظر إلى علماء السوء الذين يطلبون الدنيا، ويولعون بتقليد السلف، ويُعرضون من نصوص الكتاب والسنة، ويستندون إلى تعمقِ عالمٍ وتشدُّده، أو إلى استحسانه، فأعرضوا عن كلام الشارع المعصوم، وجعلوا الأحاديث الموضوعة، والتأويلات الفاسدة قدوة، فانظر كأنهم هم!

ذكر النصارى

عقيدة التثليث والرد عليها:

أما النصارى فكانوا مؤمنين بسيدنا عيسى عليه السلام، وكان ضَلالهم: أنهم يزعمون أن لله تبارك وتعالى ثلاثةَ أجزاء متغايِرة بوجه ومتحدة بآخرَ، وكانوا يسمونها "**الأقانيم** الثلاثة":

أحدها: الأب، وهو بإزاء **مبدأ العالم**.

والثاني: الابن، وهو بإزاء الصادر الأول الذي هو معنى عام شامل **لجميع الموجودات**.

أنموذج: الأنموذج والنموذج: مثال الشيء أصلهما كلمة فارسية، وهي نمونه. **الأقانيم**: جمع الأقنوم، وهي كلمة سريانية، معناها: الشخص والأصل. **مبدأ العالم**: قارن الإمام المصنف رحمه الله مصطلحات النصارى بمصطلحات الفلاسفة، والفلاسفة يعنون بمبدأ العالم ذات الواجب تعالى، وبالصادر الأول العقلَ الأولَ، وبالعقول المجردة العقول العشرة، والعقل عندهم: جوهر مستغن في أفعاله عن الآلات الجسمانية، متوسط بين الواجب ومصنوعاته في إفاضة الوجود. **لجميع الموجودات**: الصادر الأول أى العقل الأول عند الفلاسفة سبب لوجود جميع الكائنات، فهو شامل لجميع الموجودات بهذا المعنى، وهو عند أرباب الحقائق: الوجود المنبسط المخلوق، ومنهُ وجد العالم بحذافيره.

والثالث: روح القدس، وهو بإزاء العقول المجردة.

وكانوا يعتقدون أن أقنوم "الابن" **تدرّع** بروح عيسى عليه السلام أي كما أن جبرئيل عليه السلام قد يظهر في صورة الإنسان، كذلك ظهر الابن في صورة روح عيسى عليه السلام، فعيسى إله وابنُ إله وبشر أيضًا في وقت واحد، وتجري عليه الأحكام البشرية والإلهية معًا. وكانوا يتمسكون في إثبات هذه العقيدة ببعض نصوص الإنجيل التي أُطلق فيها لفظ "الابن" على **عيسى** عليه السلام، وكذلك يستدلون بالآيات التي نَسب فيها عيسى عليه السلام بعض أفعال الله تعالى **إلى نفسه**.

وجواب **الإشكال** الأول على تقدير صحة نصوص الإنجيل، وأنه ليس فيها تحريف: أن لفظ "الابن" في العهد القديم كان مستعملاً بمعنى المحبوب والمقرب والمجتبى، كما يدل عليه كثير من القرائن في الإنجيل.

وجواب الإشكال الثاني: أن تلك النسبة على طريق الحكاية، كما يقول رسول الملِك: "إنَّا فتحنا البلد الفلاني" و "لقد حطمنا القلعة الفلانية"، وفي الحقيقة هذا الأمر راجع إلى الملِك، وأما الرسول فإنما هو ترجمان الملك فحسب.

والجواب الثاني: أنه يحتمل أن يكون الوحي إلى عيسى عليه السلام عن طريق **انطباع** المعاني في لوح قلبه من قِبَل العالم العُلوي، لا عن طريق تمثُّل جبرئيل عليه السلام في صورة البشر وإلقاء الكلام إليه، فبسبب هذا الانطباع جرى منه عليه السلام كلام مشعر بنسبة تلك الأفعال إلى نفسه، والحقيقة غير خفية.

وبالجملة فقد ردَّ الله تعالى هذا المذهب الباطل، وبيَّن أن عيسى عبدُ الله وروحه المطهرة التي نفخها في رحِمِ مريمَ الصديقةِ، وأنه تعالى أيَّده بروح القدس، و**حاطه** عليه السلام بعناية خاصة.

وبالجملة فلو فرضنا أن الله سبحانه وتعالى ظهر في الكسوة الروحية، التي هي من جنس الأرواح وتدرَّع

تدرّع: أي تقمَّص. عيسى عليه السلام: راجع إنجيل مُرْقُس ١٣: ٣٢، وإنجيل لوقا ٢٣: ٤٦، والمواضع الكثيرة من إنجيل يوحنَّا. إلى نفسه: كما في الأصحاح الثامن من إنجيل متَّى: جاء أبرص، فقال لعيسى: يا رب إن شئت فأنت قادر على تطهيري، فمدَّ يسوع يده ولمسه، وقال: "قد شئت فاطهر"، فطَهُر للوقت من برصه (الآيات ١-٣). الإشكال: الإشكال بمعنى الاشتباه والالتباس، من أشكل الأمر: إذا التبس. انطباع: الانطباع (چهپنا، ڈھلنا، بھرجانا) مطاوع لطبع. حاطه: حاط حَوطًا الشيء: حفظه وتعهَّده بجلْب ما ينفعه ودفع ما يضرُّه.

بالبشرية، فلا ينطبق لفظ "الاتحاد" على هذا المعنى عند التدقيق والإمعان إلا بتسامح، وأقرب الألفاظ لهذا المعنى: هو "التقويم" **ومثله**، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

أنموذج النصارى:

وإن شئت أن ترى نموذجًا لهذا الفريق، فانظر اليوم إلى أولاد المشايخ والأولياء، ماذا يظنون بآبائهم؟ وإلى أيّ حد وصلوا بهم! ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

عقيدة مصلوبية المسيح والرد عليها:

ومن ضلالاتهم أيضًا أنهم يجزمون بأن عيسى عليه السلام قد قُتل، مع أن الواقع خلاف ذلك، وقد شُبِّه لهم، والتبس عليهم الأمر، فظنوا رفعه إلى السماء قتلاً، ورووْا هذا الغلط كابرًا عن كابر، فكشف الله تعالى الستار عن حقيقة الأمر في القرآن العظيم قائلاً: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2].

وأما **ما ذكر في الإنجيل** من قول عيسى عليه السلام في هذا الباب فمعناه: أنه إخبار بجرأة اليهود وإقدامهم على قتله، ولكن الله تعالى أنجاه من هذه المهلكة.

وأما **كلام الحواريين** فإنه ناشٍ عن اشتباه الأمر، وعدم وقوفهم على حقيقة الرفع الذي لم يكن مألوفًا لعقولهم، ولا لأسماعهم.

ومثله: حاصل ما قاله الإمام المصنف رحمه الله: أن النصارى يقولون بالاتحاد بين الله تعالى وبين عيسى عليه السلام بأن الله تعالى تقمَّص بشرية عيسى عليه السلام، فصار متحدًا معه، فردَّ عليهم المصنف رحمه الله، وقال: لو فرضنا أن الله تعالى صار روحاً في أول الأمر، ثم تقمص بشرية عيسى عليه السلام ثانياً، فلا ينطبق عليه لفظ "الاتحاد" أي لم يصر سبحانه وتعالى مع هذا متحدًا مع عيسى عليه السلام في النظر الممعن؛ لأن الله تعالى بمنزلة الروح، وبشرية عيسى بمنزلة الجسد، والروح لا تكون متحدة مع الجسد أبدًا، بل تكون مقوِّمة ومعدِّلة فحسب، فكيف يقول الظالمون بالاتحاد بينه تبارك وتعالى وبين عبده عيسى عليه السلام ؟!. **ما ذكر في الإنجيل:** جاء في إنجيل متّى (٢٦: ٤٥): انظروا قد اقتربت تلك الساعة، وابن الناس يُصلب بأيدي الفجار الظلمة. **كلام الحواريين:** أي إخبار الحواريين بقتل عيسى عليه السلام.

[1] الشعراء: ٢٢٧. [2] النساء: ١٥٧.

تحريفهم في بشارة **الفارقليط**:

ومن ضلالاتهم أيضًا أنهم يقولون: إن الفارقليط الموعودَ هو عيسى عليه السلام نفسُه، الذي جاء بعد قتله إلى الحواريين، وأوصاهم بالتمسك **بالإنجيل**، ويقولون: إن عيسى عليه السلام أوصاهم أيضًا بأن المتنبئين سيكثرون، فمن سمَّاني فاقبلوا كلامه، وإلا فلا.

وقد بين القرآن العظيم أن بشارة عيسى عليه السلام تصدُق على نبينا ﷺ، لا على الصورة الروحية لعيسى عليه السلام؛ لأنه قد صُرِّح في الإنجيل بأن الفارقليط يمكث فيكم مدة طويلة، ويعلِّم العلم ويزكي الناس، ولا يظهر هذا المعنى **فى غير نبينا** ﷺ.

وأما ذكرُ عيسى عليه السلام وتسميته فالغرض منه التصديق بنبوته، لا أن يتخذه ربا أو يعتقد بأنه ابن الله.

ذكر المنافقين

نفاق الاعتقاد ونفاق العمل:

أمّا المنافقون فكانوا على قسمين:

١- طائفة منهم يقولون بألسنتهم: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وقلوبهم مطمئنة بالكفر، **ويُضمرون** الجحود الصرف في أنفسهم، قال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

٢- وطائفة دخلوا في الإسلام مع ضعفٍ فيه.

مظاهر نفاق العمل:

١- فمنهم من يعتاد موافقة قومهم، إن ثبت القوم على الإيمان ثبتوا، وإن رجع القوم إلى الكفر رجعوا.

الفارقليط: فارقليط كلمة سريانية، معناها: أحمد - أفعل التفضيل من الحمد - أي الذي يحمد الله تعالى أكثر من كل أحد. **بالإنجيل**: كما في الباب الثاني من كتاب الأعمال، وراجع إظهار الحق (٢: ١٩٧_٢٠١).
فى غير نبينا: لأن روح عيسى عليه السلام لم تمكث عندهم إلا قليلاً على زعمهم. **يُضمرون**: أضمر الشيء: أخفاه.
(١) النساء ١٤٥.

٢- ومنهم من استولى على قلوبهم **الانسياقُ** وراء اللذات الدنيوية الدنيئة بحيث لم يذر في قلوبهم مكاناً لحب الله وحب رسوله ﷺ.

٣- ومنهم من تملّك قلوبَهم الحرصُ على المال والحسد والحقد، ونحو ذلك من الرذائل بحيث لم يبق في قلوبهم محل لحلاوة الابتهال والمناجاة، ولا لبركات العبادات.

٤- ومنهم من انغمسوا في شؤون المعاش واشتغلوا بها حتى لم يبق لديهم فرصة للاهتمام بأمر الآخرة، ولترقّبها، وللتفكير فيها.

٥- ومنهم من تخطر ببالهم ظنون واهية وشبهات ركيكة في رسالة نبينا ﷺ، وإن لم يبلغوا إلى أن يخلعوا رِبْقة الإسلام عن عنقهم، وينفضُّوا أيديهم منه بتاتاً.

وسبب تلك الشكوك: جَرَيان الأحكام البشرية على نبينا ﷺ، وظهور الملة الإسلامية في صورة سَيْطرة الملوك على أطراف البلاد، وأمثال ذلك.

٦- ومنهم من حملتهم محبة القبائل والعشائر على أن يبذلوا الجهد البليغ في نصرهم، وتقويتهم، وتأييدهم، ولو كان ذلك على مُناواة أهل الإسلام، ويضعِّفون أمر الإسلام عند التعارض، ويُلحقون به الضرر.

الكلام حول قسمَي النفاق:

وهذا القسم من **النفاق** هو نفاق الأعمال والأخلاق، ولا يمكن الاطلاع على النفاق الأول بعد سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه من الأمور المغيبة، ولا يمكن الاطلاع على مكنونات القلوب.

والنفاق الثاني كثير الوقوع لاسيما في عصرنا، وإليه جاءت الإشارة في الحديث الشريف: "أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً: إذا اؤتُمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غَدر، وإذا خاصم فجر"*، وقال: "هَمُّ المنافق بطنه، وهمُّ المؤمن فرسه"** إلى غير ذلك من الأحاديث.

الانسياقُ: مطاوع ساقه، أي تبع غيره ومشى خلفه. **النفاق:** يعني القسم الثاني بجميع أنواعه.

* رواه الستة إلا ابن ماجه عن ابن عمرو رضي الله عنهما. ** لم أجده مع الجهد البليغ.

الغرض من ذكر أحوال المنافقين في القرآن العظيم:

وقد كشف الله تعالى في القرآن العظيم عن معايب المنافقين وأعمالهم، وذَكر من أحوال الفريقين أشياء كثيرة لتحترز الأمة بأسرها منها.

نموذج المنافقين:

وإن شئت أن ترى نموذَجاً للمنافقين فانطلقْ إلى مجالس الأمراء، وانظر إلى مُصاحبيهم وندمائهم، يُؤثرون رضى الأمراء على رضى الله تعالى. ولا فرق عند المنصف بين المنافقين الذين سمعوا كلامَ الرسول ﷺ مباشَرةً ثم نافقوا، وبين هؤلاء المنافقين الذين وُلدوا في هذا الزمان، ثم علموا أحكام الشريعة بطريق القطع واليقين، ثم أقدموا على خلافها، وانحرفوا عنها.

وكذلك طائفة من المعقوليين الذين تمكَّنت في خواطرهم شكوك وشبهات كثيرة، ونسوا الدار الآخرة، فهم أيضًا نموذج المنافقين.

القرآن كتاب كل عصر:

وعلى كلٍّ، فإذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا، كلا، بل ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليومَ بطريق الأنموذج، كما ورد في الحديث الشريف: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"*، فمقصود القرآن الكريم بيان كليات تلك المفاسد، لاخصوص الحوادث.

هذا ما تيسر لي في هذا الكتاب من بيان عقائد الفرق الضالة، والردود عليها، وأظن أن هذا القدر كاف في فهم معاني آيات الجدل، إن شاء الله تعالى.

---

* حديث متفق عليه، وتمامه: "شِبْرًا بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ تبِعتُموهم" مشكاة رقم الحديث: ٥٣٦١ كتاب الرقاق، باب تغير الناس.

الفصل الثاني

في بقية مباحث العلوم الخمسة

بيان التذكير بآلاء الله:

لِيُعلَم أن نزول القرآن الكريم إنما كان لإصلاح النفوس البشرية سواء كانوا عرباً أو عجماً بدوًا أو حَضَرًا، فلذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يُخاطب الناسَ في التذكير بآلاء الله إلا بما تسعه أذهانهم وتُحيط به مداركهم، ولا يُبالغ في البحث والتحقيق مبالغة زائدة، فسيق الكلام في أسماء الله تعالى وصفاته بوجه يمكن فهمه، والإحاطةُ به بإدراك وفَطانة، خُلق أكثر أفراد الإنسان عليهما في أصل خِلقتهم من دون حاجة إلى ممارسة الفلسفة الإلهية ومزاولة علم الكلام.

إثبات الذات وبيان الصفات:

فأثبت سبحانه وتعالى ذات المبدأ إجمالاً، إذ أن معرفتَه تعالى مركوزة في فطرة بني آدم، لا ترى طائفةً منهم في الأقاليم الصالحة، والأماكن القريبة من الاعتدال ينكرون ذلك.

ولما كان إثبات الصفات الإلهية بطريق الإمعان، وتحقيق الحقائق مستحيلاً بالنسبة إلى أفراد الإنسان، ولو لم يطّلعوا على صفاته تعالى إطلاقًا لم يصلوا إلى معرفة الربوبية التي هي أنفع الأشياء في تهذيب النفوس، فكان من حكمة الله تعالى: أنه اختار شيئاً من الصفات البشرية الكاملة التي يعرفونها، ويجري التمدُّح بوجودها فيما بينهم، فاستعملها بإزاء المعاني الدقيقة الغامضة التي لا مدخل للعقول البشرية في ساحة جلالها، وجعل الأصل المصرّح بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ترياقاً للداء الْعُضال من الجهل المركب، ومنع من إثبات الصفات البشرية التي تثير الأوهام إلى العقائد الباطلة، كإثبات الولد والبكاء والجزع له تعالى شأنه.

صفاته تعالى توقيفية:

وإن أمعنت النظر في مسألة الصفات الإلهية تجلى لك أن الجري على مِسطرة العلوم الإنسانية

غير المكتسبة وتمييزَ صفات يجوز أن تُنسب إلى الله تعالى، ولا يقع بها خلل عن الصفات التي يؤدي إثباتُها إلى الأوهام الباطلة أمر دقيق خطير للغاية، لا يُدرك غورَه جمهور الناس، فلا جرم كان هذا العلم توقيفياً يُسمح فيه بالبحث بحرِّية وإطلاق.

بيان آلائه تعالى وآيات قدرته:

واختار سبحانه وتعالى من آلائه وآيات قدرته ما يستوي في فهمه الحَضَريُّ والبدوي، والعربي والعجمي، ولأجل ذلك لم يذكر **النعم الروحانية** المخصوصة بالعلماء والأولياء، ولم يُخبر **بالنعم الارتفاقية** المخصوصة بالملوك، وإنما ذكر سبحانه وتعالى ما ينبغي ذكره، مثل خلق السموات والأرض، وإخراج أنواع الثمار والحبوب والأزهار بالماء، وإلهام الصنائع والحِرَف الضرورية، وخلق القدرة لممارستها ومزاولتها. وقد نبَّه في مواضع كثيرة على **اختلاف أحوال الناس** عند هجوم المصائب وانكشافها ببيان الأمراض النفسانية الكثيرة الوقوع.

بيان التذكير بأيام الله:

واختار سبحانه وتعالى من أيام الله - أي من الوقائع التي أحدثها الله تعالى من قبيل تنعيم المطيعين، وتعذيب المجرمين - ما **قرع أسماعهم** من قبلُ، وكانوا قد سمعوا عنه بالإجمال، مثلُ قِصَصِ قوم نوح وعاد وثمود التي تتلقاها العرب أباً عن جد، ومثل قصَصِ إبراهيم، وقصص أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام التي أَلِفَتْها أسماعُهم لطول اختلاط العرب مع اليهود، ولم يذكر القصَصَ الغريبةَ غيرَ المألوفةِ للعرب،

النعم الروحانية: كفرح كشف النكات النافعة، ومسرَّة حل المعضلات، وكحلاوة العبادة، والانبساط برؤية الأنوار الإلهية. **بالنعم الارتفاقية:** هي التي يحتاج إليها الرجل ليقضي بها حاجاته النوعية من الأكل، والشرب، والجماع، والاستظلال من الشمس، والمطر، والاستدفاء في الشتاء، وغيرها. **اختلاف أحوال الناس إلخ:** أي تغير مواقف الناس عند السَّراء والضَّراء، وأوضح سبحانه وتعالى ذلك بأمثلة الأمراض النفسانية الكثيرة الوقوع ليفهمها جميع الناس، كما قال تعالى: "﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج ١٩-٢١). **قرع أسماعهم:** قرع سمعه أي وقع في أذنه.

ولا أخبار مجازاة الفارس **والهنود**.

ذُكر من القصص ما هو الغرض منها:

وانتزع سبحانه وتعالى من القصص المشهورة **جِماعًا** تنفع في التذكير والموعظة، ولم يَسرُد القصص بتمامها مع جميع خصوصياتها.

والحكمة في ذلك: أن العوامَّ إذا سمعوا قصة نادرة غايةَ النُّدرة، أو ذُكرت القصةُ عندهم بجميع خصوصياتها وتفاصيلها، فإن طباعهم تميل إلى نفس القصة، ويفوتهم الغرض الأساسي الذي هو التذكُّر.

ومثال ذلك ما قاله بعض العارفين: "إن الناس لما حفِظوا قواعدَ التجويد شُغلوا عن الخشوع في التلاوة، ولما بدأ المفسرون يتكلمون في الوجوه البعيدة في التفسير، أصبح علم التفسير نادرًا كالمعدوم".

القصص المتكرِّرة في القرآن:

ومما تكرر من القصص في القرآن العظيم:

قصة خلق آدم من الطين وسجود الملائكة له، واستكبار الشيطان عنه، وكونه ملعوناً وسعيه بعد ذلك في إضلال بني آدم.

وقِصَصُ مُحاجَّةِ نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام مع شعوبهم وأقوامهم في توحيد الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستكبار الأقوام عن الإيمان، **وإدلائهم** بشبهات ركيكة، وردود الأنبياء عليها، وابتلاء الأقوام بالعقوبة الإلهية، وظهور نصرة الله تعالى في حق الأنبياء وأتباعهم. وقِصَص موسى عليه السلام مع فرعون ومَلَائِه، ومع سفهاء بني إسرائيل ومكابرتهم معه عليه السلام، وعقاب الله تعالى لأولئك الأشقياء، وظهور نصرة الله تعالى متتالية لنجِيِّه عليه السلام.

وقصص داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وخلافتهما وآياتهما وكراماتهما.

والهنود: المراد بأخبار مجازاة الفارس: حروبهم وملاحمهم، كقصص رستم وإسكندر ودارا وغيرها، والمراد بأخبار مجازات الهنود أيامهم الشهيرة، كحرب مها بهارت وغيرها. **جِماعًا**: الجماع: مجتمَع أصله، يقال: هذا الباب جِمَاعُ هذه الأبواب أي الجامع لها الشامل لما فيها. **إدلاؤهم**: أدلى فلان بحجته: أي أحضرها واحتجَّ بها.

وقصص **مِحنة** أيوب ويونس عليهما الصلاة والسلام، وظهور رحمة الله تعالى لهما.

وقصة دعاء زكريا عليه السلام، واستجابة الله تعالى إياه.

وقصص سيدنا عيسى العجيبةُ من ولادته من غير أب، وتكلّمه في المهد، وظهور الخوارق على يده.

فذكرت هذه القِصَص في القرآن العظيم بأساليبَ متنوعةٍ من الإيجاز والإطناب حسب مقتضَى الأساليب المرعية في السور.

ما ذكرت من القصص مرة أو مرتين فقط:

وأما القصص التي لم تتكرر في القرآن، بل وردت في موضع أو موضعين فحسب، فهي:

قصة رفع سيدنا إدريس عليه السلام **مكاناً علياً**.

وقصة مُحاجَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام لنمرود، ومشاهدته لإحياء الطير، وقصة ذبح ولده **الوحيد**.

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام.

وقصة ولادة سيدنا موسى عليه السلام، وإلقاؤه في الْيَمِّ، وقتله القبطي، وتوجُّهه إلى مَدْيَنَ، وتزوجه هناك، ورؤيته النار على الشجرة، وسَماع الكلام منها.

وقصة ذبح البقرة.

وقصة لقاء موسى مع الخَضِر عليهما الصلاة والسلام.

وقصة طالوت وجالوت.

وقصة **بلقيس**.

وقصة ذي القرنين.

وقصة أصحاب الكَهف.

مِحنة: البلاء والشدَّة ج مِحَن. مكاناً علياً: وذلك في سورة مريم ٥٧، والصحيح في معناه: أنه شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى، وعلو المرتبة بالذكر الجميل في الدنيا، قاله ابن كثير في "تاريخه" (١:١٠٠) وما رُوي من رفعه إلى السماء الرابعة، فهو من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، قاله ابن كثير في "تفسيره" (٣:١٢٦). الوحيد: المنفرد. بِلقِيسَ: هي ملكة سبأ.

وقصة الرجلين المتحاوِرَين.

وقصة أصحاب **الجنة**.

وقصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام لدعوة الدين، وقصة المؤمن الذي قتله الكفار شهيدًا.

وقصة أصحاب الفيل.

فليس الغرض من سرد هذه القصص في القرآن الكريم **معرفتَها بأنفسها** بل الغرض الأساسي: هو أن ينتقل ذهن القارئ والسامع إلى شناعةِ الشرك والمعاصي، ومعاقبةِ الله تعالى عليها، واطْمئنان المؤمنين بنصرة الله تعالى وتأييده، وظهور ألطافه وأفضاله تعالى في حق عباده المخلصين.

بيان التذكير بالموت وما بعدَه:

وقد ذكر جلَّ شأنه من الموت وما بعدَه كيفيةَ الإنسان عند موته، وعجزه في تلك الساعة، وعرضَ الجنة والنار عليه بعد الموت، وظهورَ ملائكة العذاب أمامَه، وأشراط الساعة من **نزول سيدنا عيسى** عليه السلام، **وخروجِ الدجال**، وخروج **دابَّة الأرض**، وخروج يأجوجَ ومأجوجَ، ونفخةَ الصعق، ونفخة القيام، والحشر والنشر، والسؤال والجواب، والميزان، وأخذَ صحائف الأعمال بالأيمان والشمائل، ودخولَ المؤمنين الجنة، ودخول الكفار النار، وتخاصم أهل النار من التابعين والمتبوعين فيما بينهم، وإنكار بعضهم على بعض، ولعنَ بعضهم بعضًا، واختصاصَ المؤمنين برؤية الله تعالى، وأنواعَ العذاب من **السلاسل والأغلال والحميم والغسَّاق والزقوم**، وأنواعَ النعم من **الحور والقصور**

الجنة: الحديقة، وقصتها في سورة القلم (١٧:٣٣). **معرفتَها بأنفسها:** أي الاطلاع عليها، والتعرف على جزئياتها فحسب. **نزول سيدنا عيسى**عليه السلام: جاء ذكره في سورة الزخرف ٦١ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾.
خروج الدجال: ينـــزل المسيح عليه السلام بعد خروج الدجال، فيقتله الله تعالى على يديه، وليس لخروجه ذكر في القرآن أصرحُ من هذا. **دابَّة الأرض:** جاء ذكرها في سورة النمل ٨٢، وليس في الأصل الفارسي ذكر خروج دابة الأرض.
السلاسل: جمع السلسلة: حبل الحديد. **والأغلال:** جمع الغل: طوق من حديد، أو جلد يُجعل في اليد والعنق.
والحميم: من الأضداد: الماء الحار والماء البارد. **والغسَّاق:** البارد أو المنتن، أو ما يسيل من صديد أهل النار.
والزقوم: شجرة ذات شوكة تنبت في أصل الجحيم. **الحور:** جمع الحوراء: البيضاء. **والقصور:** جمع القصر: المكان المرتفع.

والأنهار، والمطاعم **الهنيئة**، والملابس **الناعمة**، والنساء الجميلات، ومجالس أهل الجنة الفَكِهَة الطيبة المفرِّحةِ للقلوب.

ففرَّق سبحانه وتعالى هذه المطالب في مختلف السور بالإجمال والتفصيل مراعيًا أساليبها الخاصة.

بيان علم الأحكام:

والقاعدة الكلية في مباحث الأحكام: أن سيدنا رسولَ الله ﷺ قد بُعث بالملة الإبراهيمية الحنيفية، فلزم إبقاء شرائع تلك الملّة، وأن لا يُحدَث أيُّ تغير في أمهات مسائلها، اللهم إلا تخصيصاً لعموماتها وزيادةً للتوقيتات والتحديدات فيها، وأمثالَ ذلك. ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يزكِّيَ العرب بنبينا ﷺ، ويزكِّيَ سائر الأقاليم بالعرب لزم أن تتكوَّن **مادَّةُ** شريعته ﷺ من رسوم العرب و**عاداتهم**.

فإذا أمعنت النظر في مجموع شرائع الملة الحنيفية، ولاحظتَ عاداتِ العرب ورسومَهم، وتأملتَ في تشريعه ﷺ - الذي هو بمنزلة الإصلاح **والتهذيب لها** - علمتَ أن لكل حكم سبباً، وفهمتَ أن لكل أمر ونهي مصلحةً، وتفصيل ذلك يطول.

دَور التشريع الإسلامي في إصلاح الملة الحنيفية المحرَّفة:

وبالجملة فقد كان تَطَرَّق إلى العبادات من الطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والذكر فتورٌ عظيم من جهة التساهل في إقامتها، واختلاف الناس فيها بسبب عدمِ معرفةِ أكثرِها، وتسَرُّب التحريفات الجاهلية إليها، فأصلح القرآن العظيم ذلك الاختلال كلَّه، وسوَّاها حتى استقام أمرُها.

وأما **تدبير المنزل** فقد كانت حدثت فيه رسوم ضارَّة، وأنواعُ تعدّ وعتوٌّ، وهكذا اختلّت أحكام السياسة المدنية، فضبط القرآن العظيم لهما أصولاً، وحدد لهما حدودًا، وذكر من **هذا الباب** أنواعاً

الهنيئة: المرغوبة. **الناعمة**: اللينة. **مادَّةُ**: مادَّةُ الشيء: أصوله وعناصره التي منها يتكوَّن، حسِّية كانت أو معنوية، كمادَّة الخشب ومادة البحث العلمي. **عاداتهم**: أي مما توارثوها من الملة الحنيفية، وانحرفوا عن جادتها في كثير منها. **والتهذيب لها**: أي لعادات العرب ورسومهم. **تدبير المنزل**: أي الحياة العائلية. **هذا الباب**: أي من باب تدبير المنزل والسياسة المدنية.

من الكبائر، وكثيرًا من الصغائر لتحترز الأمة عنها.

وذكر مسائل الصلاة إجمالاً، واستعمل فيها لفظ "إقامة الصلاة"، ففصَّلها رسولُ الله ﷺ بالأذان، وبناء المساجد، والجماعة، والأوقات، وكذلك ذكر مسائل الزكاة بالاختصار، وفصلها رسول الله ﷺ أيّمَا تفصيلٍ، وذكر الصومَ في سورة البقرة، وذكر الحج أيضًا فيها وفي سورة الحج، وذكر الجهاد في سورة البقرة والأنفال، وفي مواضع متفرقة أخرى، وذكر الحدود في المائدة والنور، وذكر المواريث في سورة النساء، وبَيَّنَ أحكام النكاح والطلاق في سورة البقرة والنساء والطلاق وغيرها من السور.

التعريضات التي تحتاج إلى البيان:

وإذا **عرفتَ هذا القسم** الذي تَعُمُّ فائدته جميعَ الأمة فههنا قسم آخر، وهو:

أنه كان يُعرَض عليه ﷺ سؤال، **فيجيب عنه**.

أو تقع حادثة يجود فيها المؤمنون بأنفسهم وأموالهم، ويُمسك المنافقون ويتبعون الهوى، فيمدح الله تعالى المؤمنين، ويذم المنافقين **ويتوعدهم**.

أو تقع حادثة من قبيل الغلبة على الأعداء، وكف ضررهم، فيَمُنّ الله تعالى بذلك على المؤمنين، **ويذكّرهم بتلك النعمة**.

أو تحدث حالة تحتاج إلى تنبيه، أو زجر، أو إشارة، أو **إيماء**، أو أمر، أو نهي، فينــزل الله تعالى في ذلك الباب.

فما كان من هذا القبيل فلابد للمفسر من ذكر تلك القصص بطريق الإجمال.

عرفتَ هذا القسم: أي عرفت القسم الذي فيه خطاب عام، ولا يحتاج إلى معرفة شأن نزوله. **فيجيب عنه:** كما سألوا عن الأهلة، وعن القتال في الأشهر الحرم، وعن الكلالة، فأجيب عنه في القرآن. **يتوعدهم:** كما وقع ذلك في غزوة تبوك. **ويذكّرهم بتلك النعمة:** كما وقع ذلك في غزوة الأحزاب. **إيماء:** هو الإشارة الدقيقة.

أمثلتها:

وقد وردت التعريضات بقصة غزوة بدر في سورة الأنفال، وبقصة غزوة أُحدٍ في سورة آل عمران، وبقصة غزوة الخندق في سورة الأحزاب، وبقصة صلح الحديبية في سورة الفتح، وبغزوة بني النضير في سورة الحشر، وجاء الحث والتحريض على فتح مكة وغزوة تبوك في سورة البراءة، ووردت الإشارة إلى حجة الوداع في سورة المائدة، وجاءت الإشارة إلى قصة زواج زينب رضي الله عنها في سورة الأحزاب، وإلى تحريم **السُّرِّية** في سورة التحريم، وإلى قصة الإفك في سورة النور، وجاء ذكر استماع وفد الجن تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الجن والأحقاف، وذكرت قصة مسجد الضِّرار في سورة البراءة، وأشير إلى قصة الإسراء في أول سورة بني إسرائيل.

هذه الآيات من التذكير بأيام الله:

وهذا القسم من الآيات الكريمة في الحقيقة نوع من أنواع التذكير بأيام الله، ولكن لما كان حل الإشارات فيها متوقفاً على سماع القصة ميزت عن سائر أقسامها.

السُّرِّيَّة: والجمع سَرَارِيّ: الأمة التي تقام في البيت، والأغلب أن اشتقاقها من السِّر.

الباب الثاني

في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أهل هذا العصر، وإزالة ذلك الخفاء بأوضح بيان

لِيُعلم أن القرآن العظيم قد نزل في لغة العرب **القُحَّة** المبينة الواضحة، وَفَهِمَ العرب معنى منطوقه بسليقتهم التي جُبلوا عليها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٣].

وكان من مرضِيِّ الشارع الحكيم عدمُ الخوض في تأويل المتشابهات القرآنية، وتصويرِ حقائق الصفات الإلهية، وتسمية المبهم، واستقصاء القِصَصِ، وما أشبه ذلك، ولذلك قَلَّما كانوا يسألونه ﷺ عن مثل ذلك، ولهذا لم يُرفع في هذا الباب من الأحاديث إلا شيء قليل.

ولكن لما مضت تلك الطبقة وتَدَخَّل العجمُ، وتُركت تلك اللغة الأصلية، واستعصى فهمُ المراد في بعض المواضع، ومسّت الحاجة إلى تفتيش اللغة والنحو، وجرت الأسئلة والأجوبة فيما بين الناس، وصُنِّفت كتب التفسير، لزم أن نذكر هذه المواضع الصعبة إجمالاً، ونوردَ لها أمثلة حتى لا يَحتاج المفسر عند الخوض فيها إلى زيادة بيان، ولا يضطر إلى المبالغة في الكشف عنها وشرحها.

أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام:

فنقول: إن عدم الوصول إلى المراد من اللفظ يكون:

أحياناً بسبب استعمال لفظ غريب، وعلاجه: نقلُ معنى اللفظ عن الصحابة والتابعين، وسائر **أهل المعاني**.

وأحياناً لقلة الاطلاع على الناسخ والمنسوخ.

القُحَّة: تأنيث القُحّ: الخالص الخالي من الشوائب الغريبة. **أهل المعاني**: هم الذين لهم باع طويل وقدم راسخ في بيان معنى اللفظ القرآني، كالزجاج والفراء وغيرهما.

[١] الزخرف: ٢. [٢] يوسف: ٢. [٣] هود: ١.

وأحياناً للغفلة عن أسباب النزول.

وأحياناً بسبب حذف المضاف أو الموصوف أو غيرهما.

وأحياناً لإبدال شيء بشيءٍ، أو إبدال حرف بحرف، أو اسم باسم، أو فعل بفعل، أو لذكر الجمع مكان المفرد، أو بالعكس، أو للالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

وأحياناً لتقديم ما حقُّه التأخير أو بالعكس.

وأحياناً بسبب انتشار الضمائر، أو تعدُّد المراد من اللفظة الواحدة.

وأحياناً بسبب التكرار والإطناب.

وأحياناً بسبب الاختصار والإيجاز.

وأحياناً بسبب استعمال الكناية والتعريض والمتشابه والمجاز العقلي.

فينبغي للإخوة السعداء أن يطلعوا في **مبدأ الكلام** على حقيقة هذه الأمور، وعلى شيء من أمثلتها، ويكتفوا بالرمز والإشارة في مواضع التفصيل.

الفصل الأول

في شرح غريب القرآن

وأحسن الطرق في شرح الغريب ما صَحَّ عن ترجُمان القرآن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما عن طريق **ابن أبي طلحة**، واعتمد عليه **البخاري** في "صحيحه" غالبًا، ثم طريق **الضحَّاك** عن ابن عباس،

مبدأ الكلام: يعني الكلام في تفسير القرآن الكريم. **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: هو صحابي جليل، حِبْر هذه الأمة، وُلد بمكة سنة ٣ ق هـ، وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ. **ابن أبي طلحة**: هو علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي ولاءً، ولم يصلنا عن نشأته وحياته شيء. **البخاري**: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: إمام الدنيا وجبل الحفظ، صاحب الصحيح، وُلد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. **الضحّاك**: هو ضحاك بن مزاحم الهلالي ولاءً، البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، مات سنة ١٠٥ هـ.

وأجوبةُ ابن عباس عن سؤالات **نافع بن الأزرق**، وقد ذكر **السُّيُوطي** هذه الطرق الثلاث في كتابه: "**الإتقان** في علوم القرآن". ثم ما نقله البخاري من شرح الغريب عن **أئمة التفسير**، ثم ما رواه سائر المفسرين عن الصحابة والتابعين وأتباعهم ﷺ من شرح غريب القرآن.

وأرى من المناسب أن أجمع في الباب الخامس من هذه الرسالة **جملة صالحة** من شرح غريب القرآن مع بيان أسباب النزول، وأجعلَها **رسالة مستقلة**، فمن شاء ضمَّها إلى هذه الرسالة ومن شاء أفردها **على حدة**، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

القدماء ربما يفسرون اللفظ بلازم معناه

ومما ينبغي أن يُعلم هنا أن الصحابة والتابعين ﷺ ربما يفسِّرون اللفظ بلازم معناه، وقد يتعقَّب المفسرون المتأخرون ذلك التفسير القديم من جهة تتبُّع اللغة، **وتفحُّص موارد الاستعمال**.

والغرض المطلوب في هذه **الرسالة**: سَرْدُ تفسيراتِ السلف بعينها، ولنقدها وتنقيحها موضِع آخَرُ غير هذا الموضع، فلكل مقام مقال، ولكل نكتة مجال.

الفصل الثاني

في معرفة الناسخ والمنسوخ

من المواضع الصَّعبة في علم التفسير التي مباحثُها كثيرة، والاختلاف فيها واسع معرفة الناسخ

نافع بن الأزرق: الحروري: من رؤس الخوارج، قتل سنة ٦٥ هـ. **السُّيُوطي**: هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين: إمام حافظ، ولد سنة ٨٤٩ هـ، وتوفي سنة ٩١١ هـ، له نحو ٦٠٠ مصنف.
الإتقان إلخ: كتاب ماتع جامع مطبوع، وضعه السيوطي كمقدمة لتفسيره، ذكر فيه علوم القرآن في ثمانين نوعًا، وشرح الغريب في النوع ٣٦. **أئمة التفسير**: كمجاهد والحسن وقتادة وغيرهم. **جملة صالحة**: أى مقدارًا كافياً. **رسالة مستقلة**: سمَّاها الإمام المصنف بفتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير. **على حدة**: لم نَضُم فتحَ الخبير مع الفوز الكبير في طبعنا هذا؛ لعدم شموله في الدرس في المدارس الإسلامية بالهند. **وتفحُّص موارد الاستعمال**: مع أن تعقيبهم غير ملائم. **الرسالة**: يعني فتح الخبير.

والمنسوخ، ومن أقوى وجوه الصُّعوبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

معنى النسخ عند المتقدمين:

والذي وضح لنا **باستقراء** كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون "النسخ" في معناه اللغوي الذي هو "إزالة شيء بشيء" لا بمعنى **مصطلح الأصوليين**، فمعنى النسخ عندهم: "إزالة بعض أوصاف الآية **بآية أخرى**" سواء كان ذلك:

ببيان انتهاء مدة العمل.

أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر.

أو ببيانِ كونِ القيد اتفاقياً.

أو بتخصيص عام.

أو ببيان الفارق بين المنصوص وبين ما قيس عليه ظاهرًا.

أو بإزالة عادة من العادات الجاهلية.

أو برفع **شريعة** من الشرائع السابقة.

عدد الآيات المنسوخة عند المتقدمين:

فاتَّسع باب النسخ عندهم، وكثر جَولان العقل فيه، واتَّسعت دائرة الاختلاف لديهم، ولذلك بلغت الآيات المنسوخة عندهم إلى خمسِ مِائَة آية، بل إذا حققت النظر تجدها **غير محصورة**، وأما

باستقراء: استقراء الأمور: تتبعها لمعرفة أحوالها وخواصها. مصطلح الأصوليين: النسخ عند الأصوليين: بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي، متراخ عنه، حتى لا يجوز امتثاله، وبعبارة أخرى: إنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه، ومغزى الحدين: أن المنسوخ لا يبقى حكمه في وجه من الوجوه، ولا يكون له محمل من المحامل، ولا يجوز امتثاله في وقت من الأوقات.

بآية أخرى: فالنسخ عند المتقدمين مطلق التغيير الذي يطرأ على بعض الأحكام. شريعة: القانون والحكم من الأحكام. غير محصورة: إذ لو عدَّ مثلُ ذلك في الناسخ والمنسوخ لعدَّ جميع القرآن منه؛ إذ كلُّه أو أكثره تغيير لما كان عليه المشركون وأهل الكتاب من قبل.

المنسوخ حسب اصطلاح المتأخرين فلا يتجاوز العددَ القليل، لاسيما حسب ما اخترناه من التوجيه.

الآيات المنسوخة عند المتأخرين:

وقد ذكر الشيخ جلال الدين السُّيُوطي في "الإتقان" عن بعض العلماء ما ذكرناه آنفاً بتقرير مبسوط كما ينبغي، ثم **حَرَّر** المنسوخ طَبْق رأيِ المتأخرين موافقاً لرأي الشيخ **ابن العربي** فعدَّه قريبًا من عشرين آية، وللفقير في أكثرها نظر، فلنورد كلامه مع **التعقيب**.

فمن البقرة:

١- قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[1] الآية منسوخة، قيل: **بآية المواريث**، وقيل: بحديث: **"لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"**، وقيل: بالإجماع، حكاه ابن العربي.

قلت: بل هي منسوخة بآية: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾، وحديثُ: "لا وصية" مبيِّن للنسخ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[2] قيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[3]، وقيل: محكمة، **ولا مقدَّرة**.

قلت: عندي وجه آخر، وهو أن المعنى: وعلى الذين **يطيقون الطعام** فدية، هي طعام مسكين، فأضمر قبل الذكر؛ لأنه متقدم رتبة، وذكَّر الضمير؛ لأن المراد من الفدية هو الطعام، والمراد منه صدقة الفطر،

حَرَّر: حرَّر الكتاب: حسَّنة وأصلحه. **ابن العربي:** هو أبو بكر محمد بن عبد الله القاضي المالكي المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨ هـ، وتوفي سنة ٥٤٣ هـ، وهو غير الشيخ ابن عربي الصوفي.

التعقيب: عقّب على فلان: بيّن عيوبَه وأغلاطه، وعقّب الشيءَ: أتى بشيء بعده. **بآية المواريث:** يعني بقوله تعالى:"يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ" الآيات من سورة النساء ١١-١٤. **لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ:** رواه عشرة من الصحابة، وخرّجه أصحاب السنن غير النسائي عن أبي أمامة، وغير أبي داود عن عمرو بن خارجة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (انتهى). وتلقته الأئمة بالقبول. **ولا مقدَّرة:** والآية للشيخ الفاني، وضمير "يطيقونه" يرجع إلى الصوم. **يطيقون الطعام:** أى يطيقون الإطعام، لكونهم أصحاب نُصُب بقدرة ممكّنة.

(١) البقرة: ١٨٠، وتمام الآية: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

(٢) البقرة: ١٨٤. (٣) البقرة: ١٨٥.

عقَّب الله تعالى الأمر بالصيام في هذه الآية بصدقة الفطر كما عقَّب الآية الثانية بتكبيرات العيد.

٣- قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[1] ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[2]، لأن **مقتضاها** الموافقةُ فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم، ذكره ابن العربي، وحكى قولاً آخر: أنه نسخٌ لما كان **بالسنَّة**.

قلت: معنى "كما كتب" التشبيه في نفس الوجوب فلا نسخ، إنما **هو** تغيير لما كان عندهم قبل الشرع، و لم نجد دليلاً على أن النبي ﷺ شرع لهم ذلك، ولو سُلّم فإنما كان ذلك **بالسنَّة**.

٤- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[3] الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾[4] أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة.

قلت: هذه الآية لا تدل على تحريم القتال، بل تدل على تجويزه، وهي من قبيل تسليم العلة وإظهار المانع، فالمعنى: أن القتال في الشهر الحرام كبير شديد، ولكن الفتنةَ أشدُّ منه، فجاز في مقابلتها، وهذا التوجيه ظاهر من سياقها كما لا يخفى.

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ .... مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾[5] الآية منسوخة بآية: ﴿ أَرْبَعَةَ

مقتضاها: أي مقتضى الآية الثانية. **بالسنَّة:** أي أنه نسخٌ لِمَا كان معمولاً عندهم، وثابتاً بالسنة. **هو:** يعني قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية. **بالسنَّة:** فقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ناسخ للحكم الذي كان ثابتاً بالسنة، وليس بناسخ لقوله تعالى: ﴿ كَمَا كُتِبَ﴾.

[1] البقرة: ١٨٧. [2] البقرة: ١٨٣. [3] البقرة ٢١٧، وتمام الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ الآية. [4] التوبة ٣٦، والآية بتمامها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[5] البقرة: ٢٤٠، والآية بتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[1]، والوصيةُ منسوخة بالميراث، والسكنى ثابتة عند قوم، منسوخة عند آخرين بحديث: "**ولا سكنى**".

قلت: هي كما قال منسوخة عند جمهور المفسرين، ويمكن أن يقال: يستحب أو يجوز للميت الوصية، ولا يجب على المرأة أن تسكن في وصيته، وعليه ابن عباس، وهذا التوجيه ظاهر من الآية.

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[2]، الآية منسوخة بقوله بعده: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3].

قلت: هو من باب تخصيص العام، بينت الآية المتأخرة أن المراد ما في أنفسكم من الإخلاص والنفاق، لا من أحاديث النفس التي لا اختيار فيها، فإن التكليف لا يكون إلا فيما هو في وُسْع الإنسان.

ومن آل عمران:

٧- قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4]، قيل: إنه منسوخة بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[5]، وقيل: لا، بل هو محكم.

وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية.

قلت: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ في الشرك والكفر، وما يرجع إلى الاعتقاد، ﴿وَمَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ في الأعمال: من لم يستطع الوضوء يتيمم، ومن لم يستطع القيام يصلي قاعداً، وهذا التوجيه ظاهر من سياق الآية، وهو قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

ومن النساء:

٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾[7] الآية منسوخة بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ

ولا سكنى: لم أجد هذا اللفظ في حديث مرفوع، إنما هو قول عطاء في البخاري (٢:٨٠٤).

(١) البقرة: ٢٣٤، الآية بتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾. (٢) البقرة: ٢٨٤. (٣) البقرة: ٢٨٦. (٤) آل عمران: ١٠٢. (٥) التغابن: ١٦. (٦) النساء: ٣٣. (٧) الأنفال: ٧٥، والأحزاب:٦.

﴿ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[1].

قلت: ظاهر الآية أن الميراث **للموالي**، والبر والصلة **لمولى الموالاة** فلا نسخ.

٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾[1] الآية قيل: **منسوخة**، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها.

قلت: قال ابن عباس: هي محكمة، **والأمر للاستحباب**، وهذا أظهر.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾[2] الآية منسوخة **بآية النور**.

قلت: لا نسخ في ذلك، بل هو ممتد إلى الغاية، فلما جاءت الغاية بيّن النبي ﷺ أن السبيل الموعود **كذا وكذا**، فلا نسخ.

ومن المائدة:

١١- قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾[3] الآية منسوخة بإباحة القتال فيه.

قلت: لا نجد في القرآن ناسخاً له، ولا في السنة الصحيحة، ولكن المعنى أن القتالَ المحرَّم يكون في الشهر الحرام أشدُّ تغليظاً، كما قال النبي ﷺ في الخطبة: "إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا" *.

للموالي: جمع المولى بمعنى القريب أي الميراث للأقرباء. **لمولى الموالاة:** إذا أسلم رجل على يد رجل، وتعاقدوا على أن يرثه ويعقل عنه صح، وهو مولى الموالاة. **منسوخة:** أي بآيات المواريث. **والأمر للاستحباب:** الصحيح للبخاري ص ٣٨٦، وص ٦٥٨. **بآية النور:** أي بآية الجَلْدِ، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ (النور: ٢). **كذا وكذا:** رواه مسلم، مشكاة كتاب الحدود، الفصل الأول، رقم الحديث: ٣٥٥٨.

[1] النساء: ٨، والآية بتمامها: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾. [2] النساء: ١٥، والآية بتمامها: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾. [3] المائدة: ٢، وتمام الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾.

* رواه البخاري في "صحيحه" (١:٢٣٤).

١٢- قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1] الآية منسوخة بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[2]

قلت: معناه: إن اخْتَرْتَ الْحُكْمَ فَاحْكُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ، فالحاصل: أنه لنا أن نترك أهل الذمة أن يرفعوا القضية إلى زعمائهم، فيحكموا بما عندهم، ولنا أن نحكم بما أنزل الله علينا.

١٣- قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[3] منسوخ بقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[4].

قلت: قال أحمد **بظاهر الآية**، ومعناها عند غيره: أو آخران من غير أقاربكم، فيكونانِ من سائر المسلمين.

ومن الأنفال:

١٤- قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾[5] الآية منسوخة **بالآية بعدها**.

قلت: هي كما قال منسوخة.

بظاهر الآية: أي يجوز عند أحمد رحمه الله في أرض الغربة إذا لم يجد مسلمين أن يشهد كافرين. **بالآية بعدها**: وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦)

[1] المائدة: ٤٢، وتمام الآية: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾. [2] المائدة: ٤٩، وتمام الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

[3] المائدة: ١٠٦، والآية بتمامها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾.

[4] الطلاق: ٢، والآية بتمامها: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

[5] الأنفال: ٦٥، وتمام الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

ومن البراءة:

١٥- قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[١] منسوخة بآيات العذر، وهي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[٢] الآية، و قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾[٣] الآيتين، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[٤].

قلت: خفافاً أي مع أقل ما يَتَأتَّى به الجهادُ من مركوب وعبد للخدمة ونفقة يقنع بها، وثقالاً أي مع الْخَدَم الكثيرين، والمراكب الكثيرة، فلا نسخ، أو نقول: ليس النسخ **متعيناً**.

ومن النور:

١٦- قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾[٥] الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[٦].

قلت: قال أحمد بظاهر الآية، ومعناه عند غيره: أن **مرتكب الكبيرة** ليس بكفءٍ إلا للزانية، أو **لا يستحب له** اختيار الزانية، وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الزنا والشرك، فلا نسخ، وأما قوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ فعامٌّ، لا ينسخ الخاص.

١٧- قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[٧] الآية قيل: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها.

متعيناً: بل يجب عليه عند هجوم العدو. **مرتكب الكبيرة**: يعني الوقاح والزنا. **لا يستحب له**: أي للمسلم العفيف.

[١] البراءة: ٤١، وتمام الآية: ﴿وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢] الفتح: ١٧. [٣] التوبة: ٩١،٩٢. [٤] التوبة: ١٢٢. [٥] النور: ٣، والآية بتمامها: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. [٦] النور: ٣٢، والآية بتمامها: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [٧] النور:٥٨، والآية بتمامها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قلت: مذهب ابن عباس رضي الله عنهما: أنها ليست بمنسوخة، وهذا أوجه وأولى بالاعتماد.

ومن الأحزاب

١٨- قوله تعالى: ﴿لَّا تَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾[1] الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾[2] الآية.

قلت: يحتمل أن يكون الناسخ مقدماً في التلاوة، وهو الأظهر عندي.

ومن المجادلة

١٩- قوله تعالى: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ﴾[3] الآية منسوخة **بالآية بعدها**.

قلت: هذا كما قال.

ومن الممتحنة

٢٠- قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾[4] قيل: منسوخ **بآية السيف**،

بالآية بعدها: وهي قوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (المجادلة ١٣). **بآية السيف:** قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ (التوبة ٣٦).

[1] الأحزاب: ٥٢، وتمام الآية: ﴿لَّا تَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾. [2] الأحزاب: ٥٠، وتمام الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾. [3] المجادلة: ١٢، والآية بتمامها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. [4] الممتحنة: ١١، وتمام الآية: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

وقيل: **بآية الغنيمة**، وقيل: محكم.

قلت: الأظهر أنها محكمة، ولكن الحكم في **المهادنة** وعند قوة الكفار.

ومن المزمل:

٢١- قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1] منسوخ **بآخر السورة**، ثم نُسخ الآخِر بالصلوات الخمس.

قلت: دعوى النسخ بالصلوات الخمس **غير مُتَّجِهَةٍ**، بل الحق: أن أولَ السورة في تأكيد النُّدب إلى قيام الليل، وآخِرَها في نسخ التأكيد إلى مجرد الندب.

قال السُّيوطي موافقاً لابن العربي: فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها، ولا يصح دعوى النسخ في غيرها، والأصح في **آيتَي الاستئذان** والقسمة الإحكامُ وعدمُ النسخ، فصارت تسع عشرة آية، وعلى ما حرَّرنا لا يتعين النسخ إلا في **خمس آيات**.

الفصل الثالث

في معرفة أسباب النزول

ومن المواضع الصَّعبة أيضًا معرفة أسباب النزول، ووجهُ الصُّعوبة أيضًا اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

معنى "نَزَلَتْ في كذا" عند المتقدمين:

والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين ﷺ: أنهم كانوا لا يستعملون: "نزلتْ في كذا"

بآية الغنيمة: قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الانفال٤١). **المهادنة:** المصالحة، هَادَنَه مهادنة: صالحه ووَادَعَه. **بأخرة السورة:** أي بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ (المزمل: ٢٠).

غير مُتَّجِهَةٍ: أي غير موجَّهٍ. **آيتَي الاستئذان إلخ:** آية الاستئذان هي الآية السابعة عشر، وآية القسمة هي الآية التاسعة. **خمس آيات:** وهي الآية الأولى، والخامسة، والرابعة عشرة، والثامنة عشرة والتاسعة عشرة.

[1] المزمل ٢.

لمجرد بيان الحادث الذي وقع في زمنه ﷺ، وكان سبباً لنزول الآية، بل ربما يذكرون بعضَ ما صدقتْ عليه الآية مما حدث في زمنه ﷺ، أو حدث بعده ﷺ، فيقولون: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا"، ولا يلزم في هذه الصورة انطباق جميع القيود المذكورة في الآية، بل يكفي انطباق أصل الحكم فحسب.

وقد يُبينون سؤالاً سُئل عنه رسولُ الله ﷺ، أو حادثةً حدثت في عهد النبي ﷺ، واستنبط ﷺ حكمها من الآية وتلاها عليهم في ذلك الباب، فيقولون: "نزلت في كذا"، وربما يقولون في هذه الصُّوَر: "فأنزل الله تعالى قوله كذا" أو "فنزلتْ".

وكأنَّه إشارة إلى أن استنباطَه ﷺ ذلك الحكم من الآية، وإلقاءها في تلك الساعة في خاطره المبارك أيضًا نوعٌ من الوحي والنَّفث في الرُّوع، فلذلك يمكن أن يقال: "فأُنزلت"، ولو عبَّر أحد عن ذلك بتكرار نزول الآية لكان له مساغ أيضًا.

روايات المحدثين التي لا عَلاقة لها بأسباب النزول:

ويذكر المحدثون تحت آيات القرآن الكريم كثيرًا من الأشياء ليست هي في الحقيقة من قسم سبب النزول، مثلُ: استشهادِ الصحابة ﷺ في **مناظراتهم** بآية، أو **تمثُّلِهم** بها، أو تلاوتِه ﷺ آيةً للاستشهاد في كلامه الشريف، أو رواية حديث يوافق الآية في أصل الغرض، أو تعيين موضع النزول، أو تعيين أسماء المذكورين في الآية بطريق الإبهام، أو بيانِ طريق التلفظ بكلمة قرآنية، أو فضل سُور وآيات من القرآن، أو بيان طريقة امتثاله ﷺ بأمر من أوامر القرآن الكريم، فليس شيء من هذا في الحقيقة من أسباب النزول، وليس من شروط المفسر الإحاطة بها.

شرط المفسر في باب أسباب النزول:

إنما شرط المفسر معرفة أمرين:

الأول: معرفة تلك القِصص التي **تعرِّض** الآيات لها، فإنه لا يتيسر فهم إيماء الآيات إلا بمعرفتها.

مناظراتهم: المناظرة: المباحثة العلمية. **تمثُّلِهم:** تمثل بالشيء: ضربه مثلاً. **تعرِّض:** عرَّض له بالقول: قال قولاً وهو يعنيه ويريده، ولكن لم يصرِّح به ولم يبينه.

والثاني: معرفة تلك القصة التي تخصِّص العامَّ، أو نحوُ ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر، فإنه لا يتأتى فهمُ المقصود من الآيات بدونها.

قِصَص الأنبياء من روايات أهل الكتاب:

ومما ينبغي أن يُعلم هنا: أن قصص الأنبياء السابقين لم تُذكر في الأحاديث إلا قليلاً، فالقِصص الطويلة العريضة التي **يتجشم** المفسرون روايتها، كلُّها منقولة عن علماء أهل الكتاب **إلا ما شاء** الله تعالى، وقد جاء في صحيح البخاري مرفوعًا: "لا تُصدِّقوا أهل الكتاب **ولا تكذّبوهم**".

معنى آخر لقولهم:"نزلت في كذا":

وليُعْلم أيضًا أن الصحابة والتابعين ﷺ كانوا يذكرون قِصَصاً جزئية لبيان مذاهب المشركين واليهود، وعاداتهم الجاهلية لتتضح بها عقائدهم وتقاليدهم، ويقولون: "نزلت الآية في كذا" ويريدون بذلك: أنها نزلت في مثل هذه سواء كانت تلك بعينها، أو ما شابَهَهَا، أو ما قاربها، ويقصدون إظهار تلك الصورة لا خصوصَ القصص، بل يذكرونها لأجل أن هذه صورة صادقة لتلك الأمور الكلية، ولهذا تختلف أقوالهم في كثير من المواضع، وكل يَجُرُّ الكلام إلى جانبه، وقصدُهم في الحقيقة واحد، وإلى هذه النكتة أشار أبو الدرداء ﷺ حيث قال: "لايكون الرجل فقيهاً حتى يُحمِل الآية الواحدة على **محامل متعددة**".

صورةُ قصة ولا قصةَ لها:

وعلى هذا الأسلوب كثيرًا ما يُذكر في القرآن العظيم صورتان: صورةُ سعيدٍ، ويُذكر فيها بعض أوصاف السعادة، وصورةُ شَقِيٍّ، ويُذكر فيها بعض أوصاف الشقاوة، ويكون الغرض من ذلك بيان أحكام تلك الأوصاف والأعمال لا التعريض بشخص معين، كما قال سبحانه وتعالى:

يتجشم: تَجَشَّم الأمر: تكلّفه على مشقة. **إلا ما شاء إلخ:** كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام المروية في "صحيح البخاري". **ولا تكذّبوهم:** البخاري في كتاب التفسير ص ٦٤٤ و ١٠٩٣. **محامل متعددة:** أخرجه ابن سعد وغيره.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾[1]، ثم ذكر صورتين: صورةَ سعيد، وصورةَ شقي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾[3].

وعلى مثل هذا تُحمل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[7].

ولا يلزم في هذه الصور أن تتوفَّر تلك الخصوصياتُ بعينها في شخص، كما لا يلزم في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾[8]، أن توجد حبَّة بهذه الصفة، إنما المقصود: تصوير زيادة الأجر لا غير، فإن وُجدت صورة توافق ذلك في أكثر الخصوصيات، أو في كلها، كان ذلك من قبيل: "لزوم ما **لم يَلْتزم**".

قد يَفرُضون السؤال والجواب في التفسير:

وفي بعض الأحيان يُرَدُّ في القرآن على شبهة ظاهرة الورود، أو يجاب عن سؤال مَطْوِيٍّ مفهومٍ بسهولة لقصد إيضاح الكلام السابق، لا لأجل أن أحدًا وجَّه هذا السؤالَ بعينه، أو أورد هذه الشبهة بعينها، وكثيرًا ما **يفترض** الصحابة رضي الله عنهم في تقرير ذلك المقام سؤالاً ويشرحون الكلام في صورة السؤال والجواب، ولكن لو نظرنا بإمعان النظر فالكل كلام واحد منسَّق، لا يحتمل نزول بعضٍ عقيب بعض، وجملةٌ واحدة **منتظِمة** لا تُفَكُّ قيودها على أصل من الأصول.

لم يَلْتزم: التزم الشيء: أوجبه على نفسه، ولزِم الشيء: ثبت ودام. **يفترض:** افترض الباحثُ: اتَّخذ فرضًا لِيصل إلى حَلِّ مسألةٍ. **منتظِمة:** انتظم الشيء: تألَّف واتَّسق.

(١) الأحقاف: ١٥. (٢) النحل: ٢٤. (٣) النحل: ٣٠. (٤) النحل: ١١٢. (٥) الأعراف: ١٨٩. (٦) المؤمنون: ١،٢.

(٧) القلم: ١٠. (٨) البقرة: ٢٦١.

قد يريدون التقدم والتأخر الرُّتبي لا الزماني:

وقد يذكر الصحابة ﷺ التقدُّم والتأخر، ويريدون بذلك التقدم والتأخر الرُّتبي لا الزماني، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾[1]: "إنما كان هذا قبل أن تُنْزَل الزكاةُ، فلما أُنزلت جعلها الله طُهرًا للأموال"،* ومن المعلوم أن سورة البراءة آخر سورة نزلت، وهذه الآية في تضاعيف الْقِصَصِ المتأخرة، وقد كانت فرضية الزكاة متقدمة عليها بأعوام، ولكن مراد ابن عمر رضي الله عنهما: تقدم الإجمال على التفصيل بالرتبة.

شرط المفسر أمران:

وبالجملة فالذي يشترط على المفسر في هذا الباب لا يزيد على أمرين:

الأول: معرفة قصص الغزوات وغيرها مما وقع في الآيات الإيماءُ إلى خصوصياتها، فما لم تُعلم تلك القصص لا يتأتى فهمُ حقيقتها.

والثاني: الاطلاع على فوائد بعض القيود، وكذا أسبابُ التشديد في بعض المواضع، تتوقف معرفتها على أسباب النزول.

فن التوجيه:

وهذا **المبحث الأخير** في الحقيقة فن من فنون التوجيه، ومعنى التوجيه: بيان وجه الكلام، وحاصل هذه الكلمة: أنه قد تقع في الآية شبهة ظاهرة، لاستبعاد الصورة التي هي مدلول الآية، أو للتناقض بين الآيتين.

أو يصعب فهمُ مدلول الآية على ذهن المبتدئ.

أو لا تستقر في ذهنه فائدةُ قيد من القيود.

المبحث الأخير: يعني مبحث ما يحتاج إليه المفسر.

[1] التوبة: ٣٤.

* رواه البخاري في كتاب الزكاة، وفي كتاب التفسير رقم الحديث: ١٤٠٤، ٤٦٦١.

فإذا قام المفسر بحل هذه الإشكالات سمي ذلك توجيهًا.

أمثلة التوجيه:

١- كما في آية: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾[١] فقد سألوا: أن المدة بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام طويلة، فكيف يكون هارون أخًا لمريم؟ كأن السائل أضمر في خاطره: أن هارون هذا هو هارون أخو موسى عليهما الصلاة والسلام، فأجاب ﷺ بأن بني إسرائيل كانوا يسمون **بأسماء الصالحين قبلهم**.

٢- وكما سألوا: كيف يمشي الإنسان يوم الحشر على وجهه؟ فقال:"إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه لقادر على أن يمشيه **على وجهه**".

٣- وكما سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن وجه التطبيق بين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[٢] وبين آية أخرى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾[٣] فقال رضي الله عنهما: عدم التساؤل يوم الحشر، والتساؤل بعد دخول الجنة*.

٤- وكما سألوا عائشة رضي الله عنها، فقالوا: "إن كان السعي بين الصفا والمروة واجبًا، فلما ذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٤] ؟ فأجابت رضي الله عنها بأن قومًا كانوا يتجنبونه ويتحرجون منه، فلذلك قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ﴾**

٥- وكما سأل عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ: ما معنى قيدِ ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾[٥]؟ فقال ﷺ: "صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته"***، أي إن الكرماء لا يضايقون في الصدقة، فكذلك لم يذكر الله سبحانه وتعالى هذا القيد للتضييق، بل القيد اتفاقي.

وأمثلة التوجيه كثيرة، والغرض هُنا التنبيه على معناه.

بأسماء الصالحين قبلهم: رواه الترمذي (٢:١٤٤) في أبواب التفسير، في تفسير سورة مريم.

على وجهه: رواه الشيخان، مشكاة رقم الحديث: ٥٥٣٧.

[١] مريم: ٢٨. [٢] المؤمنون: ١٠١. [٣] الصافات: ٢٧. [٤] البقرة: ١٥٨. [٥] النساء: ١٠١.

* أخرجه الحاكم وابن جرير كما في الدر المنثور (٥:١٥) ** رواه مسلم (فتح الملهم ٣:٣٢٤)

*** رواه مسلم (فتح الملهم ٢:٢٥٠).

يذكر أسباب النزول وتوجيه المشكل في "فتح الخبير" لفائدتين:

وأرى من المناسب أن أذكر في الباب الخامس ما نقل البخاري والترمذي والحاكم في تفاسيرهم من أسباب النزول وتوجيه المشكل بسند جيد إلى الصحابة ﷺ، أو إلى رسول الله ﷺ مع التنقيح والاختصار لفائدتين:

الأولى: أن استحضار هذا القدر من الآثار لابد منه للمفسر كما لابد له من حفظ القدر الذي ذكرناه في ذلك الباب من شرح غريب القرآن.

والثانية: أن يُعلم أنه لا دخل لأكثر ما يُروى من أسباب النزول في فهم معاني الآيات الكريمة، اللهم إلا شيء قليل من القصص التي ذكرت في هذه التفاسير الثلاثة التي هي أصح التفاسير عند المحدثين.

إفراط ابن اسحاق والواقدي والكلبي:

وأما إفراط **محمد بن إسحاق** و**الواقدي** و**الكلبي** وما ذكروا تحت كل آية من قصة، فأكثره غير صحيح عند المحدثين، وفي **إسناده نظر**، ومن الخطأ البَيِّن أن يُعدَّ ذلك من شروط التفسير، ومن يرى أن تدبر كتاب الله يتوقف على الإحاطة بها، فقد فات حظه من كتاب الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

الفصل الرابع

في بقية مباحث هذا الباب

مما يوجب الخفاء: حذفُ بعض الأجزاء، أو أدوات الكلام، وإبدال شيء بشيءٍ، وتقديم ما حقُّه التأخير، وتأخير ما حقُّه التقديم، واستعمالُ المتشابهات والتعريضات والكنايات، لا سِيَّما تصوير

محمد بن إسحاق: هو محمد بن إسحاق المطلبي المدني من أقدم مؤرخي العرب، وتوفي سنة ١٥١ هـ. **الواقدي:** هو محمد بن عمر الواقدي المدني من أقدم مؤرخي الإسلام وأشهرهم، ولد سنة ١٣٠ هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٠٧ هـ. **الكلبي:** هو محمد بن السائب الكلبي: نَسَّابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ. **إسناده نظر:** الضمير في قوله: "أكثره" وكذا في: "إسناده" يرجعان إلى كلمة "ما" في قوله: "ما ذكروا".

المعنى المراد بالصورة المحسوسة التي تكون من لوازم ذلك المعنى عادة، واستعمالُ الاستعارة المكنيَّة والمجاز العقلي، فلنذكر شيئًا من الأمثلة لهذه الأشياء باختصار لتكون على بصيرة.

بيان الحذف

أما الحذف فعلى أقسام: حذف المضاف والموصوف والمتعلَّق وغير ذلك، مثلُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾[1] أي برَّ من آمن.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[2] أي آية مبصرة، لا أنها مبصرة غير عمياء.

وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[3] أي حب العجل.

وقوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[4] أي بغير قتل نفس.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾[5] أي بغير فساد.

وقوله تعالى: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[6] أي من في السماوات ومن في الأرض، لا أن شيئًا واحدًا هو في السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾[7] أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[8] أي أهل القرية.

وقوله تعالى: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[9] أي فعلوا مكان شكر نعمة الله كفرًا.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[10] أي للخصلة التي هي أقوم.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[11] أي بالخصلة التي هي أحسن.

---

(١) البقرة: ١٧٧، وفيه حذف المضاف. (٢) بني إسرائيل: ٥٩، وفيه حذف الموصوف. (٣) البقرة: ٩٣، وفيه حذف المضاف. (٤) سورة الكهف ٧٤، وفيه حذف المضاف. (٥) المائدة: ٣٢، وفيه حذف المضاف، وهو الجار والمجرور. (٦) جاء في التنزيل في تسعة مواضع كما في سورة الرحمن ٢٩، وفيه حذف الموصول. (٧) بني إسرائيل: ٧٥، وفيه حذف المضاف. (٨) يوسف: ٨٢، وفيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. (٩) إبراهيم: ٢٨، وفيه حذف المضاف والمضاف إليه معًا. (١٠) بني إسرائيل: ٩، وفيه حذف الموصوف. (١١) فصلت: ٣٤، وفيه حذف الموصوف.

وقوله تعالى: ﴿سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾[١] أي الكلمة الحسنى و**العِدَة** الحسنى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَـٰنَ﴾[٢] أي على عهد ملك سليمان.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[٣] أي على ألسنة رسلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[٤] أي أنزلنا القرآن، وإن لم يسبِق له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[٥] أي توارت الشمس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾[٦] أي خصلة الصبر.

وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[٧] – فيمن قرأ بالنصب – أي جعل منهم من عبد الطاغوت.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾[٨] أي جعل له نسبًا وصهرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾[٩] أي من قومه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾[١٠] أي كفروا نعمة ربهم، أو كفروا بربهم، بنزع الخافض.

وقوله تعالى: ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾[١١] أي لا تفتؤ، ومعناه: لا تزال.

وقوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[١٢] أي يقولون: ما نعبدهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾[١٣] أي الذين اتخذوا العجل إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾[١٤] أي وعن الشمال.

العِدَة: مصدر وَعَدَ.

[١] الأنبياء: ١٠١، وفيه حذف الموصوف. [٢] البقرة: ١٠٢، وفيه حذف المضاف الأول. [٣] آل عمران: ١٩٤، وفيه أيضًا حذف المضاف الأول. [٤] القدر: ١، وفيه حذف مرجع الضمير. [٥] ص: ٣٢، وفيه حذف مرجع الضمير. [٦] فُصِّلَتْ: ٣٥، وفيه حذف مرجع الضمير. [٧] المائدة: ٦٠، وفيه حذف الموصول. [٨] الفرقان: ٥٤، وفيه حذف الجار، ثم إيصال الفعل إلى المجرور. [٩] الأعراف: ١٥٥، وفيه أيضًا حذف الجار، ثم الإيصال.

[١٠] هود: ٦٠، وفيه إما حذف المضاف الأول، وإما حذف الجار، ثم الإيصال. [١١] يوسف: ٨٥، وفيه حذف الحرف. [١٢] الزمر: ٣، وفيه حذف القول. [١٣] الأعراف: ١٥٢، وفيه حذف المفعول الثاني. [١٤] الصافات: ٢٨، وفيه حذف بعض أجزاء الجملة.

وقوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[1] أي تقولون: إنا لمغرمون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾[2] أي بدلا منكم.

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾[3] أي امض.

حذف خبر إنّ والجزاء والمفعول والمبتدأ وما شابَهَهَا مُطَّرِد.

وليُعلم أن حذف خبر "إن"، أو حذف جزاء الشرط، أو مفعول الفعل، أو مبتدأ الجملة، وما أشبه ذلك **مطّرد** في القرآن الكريم إذا كان فيما بعدَه دلالة على حذفه، نَحْوُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] أي لو شاء هدايتكم لهداكم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[5] أي هذا الحق من ربك.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ أي لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد الفتح. فحذف الثاني لدلالة قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[7] أي إذا قيل لهم: اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرَضوا.

مطَّرد: أي عام لا شذوذ فيه.

(1) الواقعة: ٦٥،٦٦، وفيه حذف القول. (2) الزخرف: ٦٠، وفيه حذف المضاف. (3) الأنفال: ٥، وفيه حذف الفعل. (4) الأنعام: ١٤٩، وفيه حذف المفعول. (5) البقرة: ١٤٧، وفيه حذف المبتدأ. (6) الحديد: ١٠، وفيه حذف بعض أجزاء الجملة، والآية بتمامها: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. (7) يس: ٤٥ و ٤٦ وفيه حذف جزاء الشرط.

لا حاجة إلى تفتيش العامل في كلمة "إذ":

وليعلم أيضًا أن الأصل في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾[2] أن تكون كلمة "إذ" ظرفاً لفعل من الأفعال، ولكنها نُقلت ههنا إلى التخويف والتهويل، كمثل الذي يذكر المواضع الهائلة أو الوقائع العظيمة على سبيل التعداد من دون تركيب للجُمَل،ومن غير وقوع الكلمات في حيِّز الإعراب، بل المقصود ذكرها بأعينها حتى ترتسم صورها في ذهن المخاطب، ويستولي الخوف منها على قلبه.

فالتحقيق: أنه لا يلزم في أمثال هذه المواضع تفتيش العامل، والله أعلم.

حذف الجار من "أنَّ" مُطَّرد:

وليعلم أيضًا أن حذف الجار من "أن" المصدرية مطرد في كلام العرب، والمعنى: لأن، أو: بأن.

حذف جواب "لو" الشرطية:

وليعلم أيضًا أن الأصل في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾[4]: أن يكون جواب الشرط محذوفاً، إلا أنهم نقلوا هذا التركيب إلى معنى التعجب، فلا حاجة إلى تفتيش المحذوف، والله أعلم.

بيان الإبدال

أما الإبدال فإنه تصرف كثير الفنون.

إبدال فعل بفعل:

قد يذكر سبحانه وتعالى فعلاً مكان فعل لأغراض شتّى، وليس استقصاء تلك الأغراض من وظيفة هذا الكتاب، نحو:

قوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[5] أي يَسُبُّ آلهتكم، وكان أصل الكلام: أهذا الذي

---

(١) البقرة: ٣٠. (٢) البقرة: ٥٤. (٣) الأنعام: ٩٣. (٤) البقرة: ١٦٥. (٥) الأنبياء: ٣٦.

يسب، ولكن كَره ذكر السبِّ، فأبدل بالذكر.

ومن هذا القبيل ما يقال **في العرف**: "أصيبَ أعداء فلان بمرض" أو: "شرَّفَنا بالمجِيء عبيدُ الحضرة" أو: "عبيد الجناب العالي مطلعون على **هذه المقدمة**"، والمراد: قد مرض فلان، وقدم سعادةُ فلان واطلع سُمُوُّ فلان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾[1] أي منا لا ينصرون لما كانت النصرة لا تتصور بدون الاجتماع والصحبة أبدل ينصرون بـــ"يصحبون".

وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] أي خفيت؛ لأن الشيء إذا خفي علمه ثقل على أهل السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾[3] أي عفون لكم عن شيء من طيبة أنفسهن.

إبدال اسم باسم:

وقد يذكر سبحانه وتعالى اسماً مكان اسم، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾[4] أي خاضعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾[5] أي من القانتات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾[6] أي من ناصر.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾[7] أي حاجزًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ، إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[8] أي أفراد بني آدم، أفرد اللفظ؛ لأنه اسم جنس.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[9] المعنى: "يا بني آدم إنكم"، أفرد اللفظ؛

في العرف: عند مخاطبتهم سادتهم أو مكرميهم أي ينسبون الأمر إلى ما يلابسهم أو إلى متعلقيهم. **هذه المقدمة**: هذه كلها تعبيرات فارسية، كانوا يتكلمون بها أو بمثلها عند ساداتهم وكُبرائهم.

(١) الأنبياء: ٤٣. (٢) الأعراف: ١٨٧. (٣) النساء: ٤. (٤) الشعراء: ٤. (٥) التحريم: ١٢. (٦) آل عمران: ٢٢.

(٧) الحاقّة: ٤٧. (٨) العصر: ١، ٢. (٩) الانشقاق: ٦.

لأنه اسم جنس.

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾[1] يعني أفراد الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2] أي نوحًا وحده.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾[3] أي إني فتحت لك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ﴾[4] أي إني لقادر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ﴾[5] أي يسلّط محمدًا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[6] أي عروة الثقفي وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾[7] أي طُعم الجوع، أبدل الطعم باللباس إيذاناً بأن الجوع له أثر من النُّحول والذبول ما يعم البدن كله ويشمله كاللباس.

وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[8] أي دين الله، أبدل بالصبغة إيذاناً بأنه كالصبغ تتلون به النفس، أو مشاكلة بقول النصارى في **المعموديّة**.

وقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[9] أي طور سَيناء.

وقوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[10] أي على إلياس، قُلّب الاسمان للازدواج.

إبدال حرف بحرف:

وقد يذكر سبحانه وتعالى حرفًا مكان حرف، نحو:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[11] أي على الجبل كما تجلى في المرة الأولى على الشجرة.

المعموديّة: كان النصارى يصبغون أولادهم بماء أصفر، يسمونه المعمودية، يزعمون أنه الماء الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام، ويعتقدون أنه تطهير للمولود، واللفظ سرياني الأصل، أو مولّد مأخوذ من العمد بمعنى البلل.

[1] الأحزاب: ٧٢. [2] الشعراء: ١٠٥. [3] الفتح: ١. [4] المعارج: ٤٠. [5] الحشر: ٦. [6] آل عمران: ١٧٣.
[7] النحل: ١١٢. [8] البقرة: ١٣٨. [9] التين: ٢. [10] الصافات: ١٣٠، والازدواج من ازدوج الكلامُ: أشبَه بعضه بعضًا في السَّجع أو الوزن. [11] الأعراف: ١٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[1] أي إليها سابقون.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ، إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾[2] أي لكن من ظلم، فهو استيناف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[3] أي على جذوع النخل.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[4] أي يستمعون عليه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[5] أي منفطر فيه.

وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾[6] أي عنه.

وقوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[7] أي حملته العزة على الإثم.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[8] أي فاسأل عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[9] أي مع أموالكم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾[10] أي مع المرافق.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[11] أي يشرب منها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[12] أي أن قالوا.

إبدال جملة بجملة:

وقد يورِد جملةً مكان جملة، مثلاً: إذا دلّت جملة على حاصل مضمون جملة أخرى وسبب وجودها، فتبدل بتلك الجملة نحو:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[13] أي إن تخالطوهم فلا بأس بذلك؛ لأنهم إخوانكم، وشأن الأخ أن يخالط أخاه.

وقوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[14] أي لوجدوا ثواباً، ومثوبةٌ من عند الله خير.

---

(١) المؤمنون: ٦١. (٢) النمل: ١٠، ١١. (٣) طه: ٧١. (٤) الطور: ٣٨. (٥) المزمل: ١٨. (٦) المؤمنون: ٦٧.
(٧) البقرة: ٢٠٦. (٨) الفرقان: ٥٩. (٩) النساء: ٢. (١٠) المائدة: ٦. (١١) الدهر: ٦. (١٢) الأنعام: ٩١.
(١٣) البقرة: ٢٢٠. (١٤) البقرة: ١٠٣، وتمامها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[١] أي إن سرق فلا عجب، لأنه قد سرق أخ له من قبل.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢] أي من كان عدوا لجبريل فإن الله عدو له، فإنه نزله على قلبك بإذنه، فعدوُّه يستحق أن يعاديه الله تعالى، فحذف :"فإن الله عدوٌّ له" بدليل الآية التالية، وأبدل منه: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

إبدال التنكير بالتعريف:

وقد يقتضي أصل الكلام التنكير، فيتصرف فيه بإدخال اللام والإضافة، ويبقى المعنى على التنكير الأول، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ﴾[٣] أي قيل له: يا رب، فأبدل بـــ "قيلِه"؛ لأنه أخصر في اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾[٤] أي حقٌّ يقينٌ، أضيف ليكون أيسر في اللفظ.

إبدال التذكير والتأنيث والإفراد بأضدادها:

وقد يقتضي سَنَنُ الكلام الطبيعي تذكيرَ الضمير، أو تأنيثه، أو إفراده، فيخرجه سبحانه وتعالى عن ذلك السنن الطبيعي، ويذكر المؤنث مقام المذكر، وبالعكس، ويأتي بالجمع مكان المفرد رعايةً للمعنى، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٦].

---

[١] يوسف: ٧٧. [٢] البقرة: ٩٧. [٣] الزخرف: ٨٨ بالجر معطوف على "الساعة"، أي عنده تعالى علم الساعة، وعلم قول الرسول ﷺ: يارب! إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. والقول والقيل والقال والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد (جَمَل). [٤] الواقعة: ٩٥، وفيه إضافة الموصوف إلى صفته أي حق الخبر اليقين. [٥] الأنعام: ٧٨، وهذا مثال لذكر المذكر مقام المؤنث. [٦] المؤمنون: ٢٨، وهذا مثال لذكر الجمع مكان المفرد.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَه ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[1].

إبدال التثنية بالمفرد:

وقد يورد المفرد مكان التثنية، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾[3].

والأصل:"فعميتا" فأفرد؛ لأنهما كشَيْءٍ واحدٍ، ومثله: الله وَرَسُوْلُه **أَعْلَمُ**.

إبدال الشرط والجزاء وجواب القسم بجملة مستقلة:

وقد تقتضي طبيعة الكلام أن يذكر الجزاء في صورة الجزاء، والشرط في صورة الشرط، وجواب القسم في صورة جواب القسم، فيتصرف سبحانه وتعالى في الكلام، ويجعل ذلك الجزء من الكلام جملة مستقلة مستأنفة، **لتنتظم** بالمعنى، ويقيم شيئاً يدل عليه بوجه من الوجوه، نحوُ: قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ، وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ، وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ، فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ، فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ، يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾[4] المعنى: البعث والحشر حق يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[5] المعنى: المجزاة على الأعمال حق.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ، وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ، يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾[6] المعنى: الحساب والجزاء كائن.

أَعْلَمُ: والأصل: أعلمان، وأفرد؛ لأن علم الرسول هو ما علمه الله تعالى إيَّاه، فهما كشيء واحد. **لتنتظم**: انتظم الشيءُ: تألَّف واتَّسق.

[1] البقرة: ١٧ أفرد الضمير في "استوقد" مراعاة للفظ الموصول، وجَمَّع في قوله: "بِنُوْرِهِمْ" مراعاة لمعنى "الذي".

[2] التوبة: ٧٤، أفرد الضمير؛ لأن الفضل هنا بمعنى الرزق، وهو لا يكون إلا من الله تعالى. [3] الهود: ٢٨.

[4] النازعات: ١-٦. [5] البروج: ١-٤ . [6] الانشقاق: ١-٦.

إبدال الخطاب بالغيبة:

وقد يقلّب الله تعالى أسلوبَ الكلام بأن يقتضي الأسلوبُ الخطابَ فيأتي بالغائب، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1].

إبدال الإخبار بالإنشاء وبالعكس:

وقد يذكر سبحانه وتعالى الإنشاء مكان الإخبار، والإخبار مكان الإنشاء، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[2] أي لتمشوا.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] أي إيمانكم يقتضي هذا.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[4] المعنى: على قياس حال ابن آدم كتبنا، أو على مثال حال ابن آدم، فأبدل منه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾؛ لأن القياس لا يكون إلا بملاحظة العلة، فكأن القياس نوع من التعليل.

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾[5] هو في الأصل بمعنى الاستفهام من الرؤية، ولكن نقلَ هُنا، ليكون تنبيهًا على استماع الكلام الآتي بعده كما يقال في العرف: ترى شَيْئًا؟ تسمع شيئًا؟

التقديم والتأخير والتعلق بالبعيد وما شابَهَهُما:

وقد يوجب التقديمُ والتأخير أيضًا صعوبةً في فهم المراد، كما في الشعر المشهور:

بُثَيْنَةُ شأنُها سلبتْ فؤادي بلا جرم أتيتُ به **سلامًا**

والتعليقُ بالبعيد أيضًا مما يوجب الصعوبة في الكلام، وكذلك ما يكون من هذا القبيل نحوُ:

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ﴾[6] أدخل الاستثناء على الاستثناء فصعُب.

سلامًا: أى سلبتْ بُثينةُ فؤادي بلاجرم أتيتُ به شأنها سلامًا.

[1] يونس ٢٢، والأصل: "بكم". [2] الملك: ١٥، وامشوا صيغة أمر، وتمشوا فعلُ مضارع، فأبدل الإخبار بالإنشاء.
[3] البقرة: ٩٣. [4] المائدة: ٣٢. [5] في غير موضع كما في أول سورة الماعون. [6] الحِجْر: ٥٩، ٦٠.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾[١] متصل بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾[٢] أي يدعو من ضره.

وقوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[٣] أي لتنوأ العصبة بها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[٤] أي اغسلوا أرجلكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٥] أي ولولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان لزامًا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ﴾[٦] متصل بقوله: ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٧] متصل بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾[٨] أي يسألونك عنها كأنك حفي.

الزيادة في الكلام:

والزيادة على السنن الطبيعي أيضًا على أقسام:

الزيادة بالصفة:

قد تكون الزيادة في الكلام بالصفة، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[١٠].

الزيادة بالإبدال:

وقد تكون بالإبدال، نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[١١].

---

[١] التين: ٧. [٢] الحج: ١٣، واللام فيه زائدة. [٣] القصص: ٧٧. [٤] المائدة: ٦. [٥] طه: ١٢٩، وهذا مثال التقديم والتأخير. [٦] الأنفال: ٧٣. [٧] الممتحنة: ٤. [٨] الأعراف: ١٨٧، وفيه أيضًا تقديم وتأخير. [٩] الأنعام: ٣٨. [١٠] المعارج: ١٩-٢١. [١١] الأعراف: ٧٥.

الزيادة بالعطف التفسيري:

وقد تكون بالعطف التفسيري، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾[1].

الزيادة بالتكرار:

وقد تكون بالتكرار، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[2] أصل الكلام: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾[5] أي هي مواقيت للناس باعتبار أن الله تعالى شرع لهم التوقيت بها، وللحج باعتبار أن التوقيت بها حاصل للحج، ولو قيل: "هي مواقيت للناس في حجهم" لكان أخصر، ولكن أطنب.

وقوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾[6] أي تنذر أم القرى يوم الجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾[7] أي ترى الجبال جامدة، أدخل "الحسبان"؛ لأن "الرؤية" تجيء لمعان، والمراد بها ههنا معنى "الحسبان".

وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[8] أدخل: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ في تضاعيف الكلام المنتظم بعضه ببعض بياناً لضمير:

---

(١) الأحقاف: ١٥. (٢) يونس: ٦٦. (٣) البقرة: ٨٩. (٤) النساء: ٩. (٥) البقرة: ١٨٩. (٦) الشورى: ٧. (٧) النمل: ٨٨. (٨) البقرة: ٢١٣.

"اختلفوا" وإيذانا بأن المراد من "الاختلاف" ههنا: هو الاختلاف الواقع في أمة الدعوة بعد نزول الكتاب بأن آمن بعض وكفر بعض.

زيادة حرف الجر:

وقد يزيد سبحانه وتعالى حرف الجر على الفاعل، أو المفعول به، ويجعله معمولاً للفعل بواسطة حرف الجر لتأكيد الاتصال، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾[1] أي تُحمى هي.

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[2] أي قفيناهم بعيسى ابن مريم.

واو الاتصال:

وينبغي أن يُعلم هنا نكتةٌ، وهي أن "الواو" تستعمل في مواضع كثيرة لتوكيد الاتصال لا للعطف، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ـ إلى قوله تعالى ـ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[5].

فاء الاتصال:

وكذلك تزاد "الفاء" أيضًا، قال القسطلاني في شرح كتاب الحج في باب المعتمر إذا طاف طواف العمرة ثم خرج، هل يجزيه من طواف الْوَداع؟: "ويجوز توسط العاطف بين الصفة والموصوف لتأكيد لصوقها بالموصوف، نحو: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[6] قال سيبويه: هو مثل: "مررت بزيد وصاحبك" إذا أردت بصاحبك زيدًا.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[7] جملة واقعة صفة لقرية،

---

(١) التوبة: ٣٥. (٢) المائدة: ٤٦. (٣) الواقعة: ١-٧. (٤) الزمر: ٧٣. (٥) آل عمران: ١٤١. (٦) الأنفال: ٤٩.
(٧) الحجر: ٤.

والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾[١]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب **(انتهى)**.

انتشار الضمائر، وإرادة المعنيين من كلمة واحدة:

وربما تكون الصعوبة في فهم المراد لانتشار الضمائر، وإرادة المعنيين من كلمة واحدة، نحوُ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[٢] يعني أن الشياطين ليصدون الناس عن السبيل، ويحسب الناس أنهم مهتدون.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾[٣] المراد به الشيطان في موضع واحد، وفي الموضع الآخر الملَك.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٍ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾[٥] فالأول معناه: أيُّ مال ينفقون؟ و أي نوع من الإنفاق ينفقون؟ وهو صادق بالسؤال عن المصرف؛ لأن الإنفاق يصير باعتبار المصارف أنواعًا، والثاني معناه: أيُّ مال ينفقون؟

ومن **هذا القبيل**: مجيء لفظ "جعل" و "شَيء" ونحوهما لمعان شتَّى:

قد يجيء "جعل" بمعنى خلق كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[٦].

وقد يكون بمعنى اعتقد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾[٧].

ويجيء "شيء" مكان الفاعل والمفعول به والمفعول المطلق وغيرها، نحوُ: قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[٨] أي من غير خالق.

انتهى: أي انتهى كلام الزمخشري، وبه انتهى النقل من القسطلاني (٣٢٩:٣). **هذا القبيل**: أي من قبيل إرادة المعنيين من كلمة واحدة.

[١] الشعراء: ٢٠٨. [٢] الزخرف: ٣٧. [٣] سورة ق في موضعين في آية ٢٣و٢٧. [٤] البقرة: ٢١٥. [٥] البقرة: ٢١٩. [٦] الأنعام: ١. [٧] الأنعام: ١٣٦. [٨] الطور: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾[1] أي عن شيء مما تتوقف فيه من أمري.

وقد يريد بالأمر والنبأ والخَطْب المخبرَ عنه، نحوُ:

قوله تعالى: ﴿هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾[2] أي قصة عجيبة.

وكذلك: كلمتا الخير والشر وما في معناهما يختلف المراد منهما حسب اختلاف المواضع.

ومن **هذا القبيل** انتشار الآيات: قد يُبادِر إلى آية مقامُها الأصلي بعد إيراد القصة، فيذكرها قبل تمام القصة، ثم يعود إلى القصة **فيتمها**.

وقد تكون الآية متقدمة في النزول، متأخرة في التلاوة، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[3] مقدمة في النزول، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[4] متأخرة، وفي التلاوة بالعكس.

وقد يُدرَج الجوابُ في تضاعيف أقوال الكفار، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[5].

وبالجملة فهذه المباحث تحتاج إلى تفصيل كثير، وفيما ذكرناه كفاية، ومن قرأ القرآن الكريم من أهل السعادة، واستحضر هذه الأمور عند تلاوته، أدرك بأدنى تأمل غرضَ الكلام ومغزاه، ويقيس غير المذكور على المذكور، وينتقل من مثال إلى أمثلة أخرى.

الفصل الخامس

في بيان المحكم والمتشابه والكناية والتعريض والمجاز العقلي

المحكم:

ليُعلم أن المحكم هو ما لا يُدرِك العارفُ باللغة من ذلك الكلام إلا معنى واحدًا، والمعتبر فَهمُ العرب الأولين، لا فهمُ مدقّقي زماننا الذين يشقّون الشَّعرةَ، فإن التدقيق الفارغ داءٌ عُضال

هذا القبيل: أي من قبيل انتشار الضمائر. **فيتمها**: كما في سورة الحجر ٦٠.

[1] الكهف: ٧٠. [2] ص: ٦٧. [3] البقرة: ١٤٤. [4] البقرة: ١٤٢. [5] آل عمران: ٧٣.

يجعل المحكم متشابهاً، والمعلوم مجهولاً.

المتشابه:

والمتشابه هو ما يحتمل معنيين:

لاحتمال رجوع الضمير إلى المرجعين، كما قال رجل: "أمَا إن الأمير أمرني أن ألعن فُلاناً، لعنه الله".

أو لاشتراك الكلمة في معنيين، نحو قوله تعالى: ﴿لَـٰمَسْتُمُ﴾[1] في الجماع واللمس باليد.

أو لاحتمال العطف على القريب والبعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾[2] في قراءة الكسر.

أو لاحتمال العطف والاستيناف، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[3].

الكناية:

والكناية هي أن يُثْبِت حكما من الأحكام، ولايقصد به ثبوت ذلك الأمر بعينه، بل يقصد أن ينتقل ذهن المخاطب إلى لازمه بلزوم عادي أو عقلي، كما يفهم معنى كثرة الضيافة من قولهم: "ويفهم معنى السخاوة من قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4].

تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة:

وتصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة من **هذا القبيل**، وذلك باب واسع في أشعار العرب وخُطَبهم؛ والقرآنُ العظيم وسنةُ نبينا ﷺ مشحون به، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[5] شبَّه الشيطان برئيس قُطَّاع الطريق حيث ينادي أصحابَه، فيقول: "تعالَ من هذه الجهة" و "ادخل من تلك الجهة".

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾[6] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ

هذا القبيل: أي من قبيل الكناية.

[1] النساء: ٤٣، والمائدة: ٦. [2] المائدة: ٦، وأما في قراءة النصب فيتعين العطف على البعيد. [3] آل عمران: ٧.

[4] المائدة: ٦٤. [5] بني إسرائيل: ٦٤. [6] يس: ٩.

﴿أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾[1] شبَّه إعراضهم عن تدبر الآيات بمن غُلَّتْ يداه أو بُني حواليه سَد من كل جهة، فلم يستطع النظر أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾[2] يعني اجمع خاطرك، ودع الاضطراب وقلق البال.

ونظير ذلك في العرف:

أنه إذا أراد أن يبين شجاعة رجل يشير بالسيف أنه يضرب إلى هذه الجهة، ويضرب إلى تلك الجهة، وليس مقصوده إلا بيان غلبته أهلَ الآفاق بصفة الشجاعة، ولو لم يأخذ السيف بيده مرة من الدهر.

أو يقولون: فلان يقول: "لا أرى أحدا على وجه الأرض يبارزني"، أو يقولون: "فلان يفعل كذا وكذا"، ويشيرون بهيئة أهل المبارزة وقتَ مغالبة الخصم، ولو لم يصدر عنه هذا القول قط، و لم يفعل هذا الفعل أصلاً.

أو يقولون: "**فلان** خنقني ونزع اللقمة من فمي".

التعريض:

والتعريض أن يذكر الله تعالى حكماً عاماً أو منكرًا، ويكون الغرض منه الإيماء إلى حال رجل خاص، أو التنبيهُ على حال رجل معين، ويأتي في **غُضون الكلام** بعضُ خصوصيات ذلك الرجل التي عرِّف المخاطب عليه، فيغرَق القارئ في الفكر في مثل هذا الموضع، ويحتاج إلى تلك القصة، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينكر على شخص يقول: "ما بالُ أقوام يفعلون كذا وكذا"، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا﴾[3] الآية تعريض لقصة زينب وأخيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾[4] تعريض بأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نظير ذلك: أي نظير تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة. **فلان إلخ**: هذه التعبيرات كلها من قبيل تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة. **غُضون الكلام**: يقال: جاء في غُضُون كلامك كذا: في أثنائه وطَيَّاته.

(١) يس: ٨. (٢) القصص: ٣٢. (٣) الأحزاب ٣٦. (٤) النور: ٢٢.

ففي هذه الصُّور ما لم يطلعوا على تلك القصة لا يدركون **فحوى الكلام**.

المجاز العقلي:

والمجاز العقلي: هو أن يُسنَدَ الفعلُ إلى غير فاعله، أو يُجعل المفعول به ما ليس بمفعول به في الحقيقة لعلاقة المشابهة بينهما، ويدَّعى المتكلم أنه داخل في عَداده وفرد من أفراده.

كما يقولون: "بنى الأمير القصر" مع أن الباني بعض البنَّائين.

وكما يقولون: "أنبت الربيع البقل" مع أن المنبت هو الله سبحانه وتعالى في فصل الربيع، والله أعلم بالصواب.

فحوى الكلام: فحوى القول: مضمونه ومرماه الذي يتَّجه إليه القائل ج فحاوٍ وفَحَاوَى.

الباب الثالث

في بيان لطائف نظم القرآن، وشرح أسلوبه البديع

الفصل الأول

في ترتيب القرآن الكريم وأسلوب السُّور فيه

لم يُجعل القرآن مبوبًا مفصلاً على منهج المتون لِيُذكر كل مطلب منه في باب أو فصل، بل افترض القرآن الكريم كمجموعة المكتوبات، فكما يوجِّه الملوك إلى رعاياهم حسب مقتضيات الأحوال فرماناً، وبعد زمان يكتبون فرماناً آخر، وهلم جرًّا حتى تجتمع فرامينُ كثيرة، فيدوِّنها شخص ويجعلها مجموعاً مرتباً، كذلك أنزل الملك على الإطلاق جلَّ شأنه على نبيه ﷺ لهداية عباده سورةً بعد سورة حسب مُتَطَلَّبات الظروف.

وقد كانت كل سورة في عهد النبي ﷺ محفوظة مضبوطة على حدة، ثم دوِّنت السور كلها في مجلد واحد بترتيب خاص في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسمي هذا المجموع بالمُصْحف.

تقسيم السُّور:

وقد كانت السور مقسومة عند الصحابة رضي الله عنهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: السبع الطُّوَل التي هي أطول السور.

والقسم الثاني: الْمِؤُوْنَ، وهي التي تشتمل كل واحدة منها على مِائَة آية، أو تزيد قليلاً.

والقسم الثالث: المثاني: وهي ما تقِلُّ آياتُها عن المائة.

والقسم الرابع: المفصل.

وقد أُدخلت سورتان أو ثلاث هي من عداد المثاني في المئين، لمناسبة سياقها بسياق المئين، وهكذا جرى التصرف في بعض الأقسام الأخرى أيضًا.

القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

وقد استنسخ عثمان رضي الله عنه عِدَّة نُسَخ من ذلك المصحف، وأرسلها إلى الآفاق ليستفيد المسلمون منها ولا يميلون إلى ترتيب آخر.

استهلال السور واختتامها على أسلوب الفرامين:

ولما كانت بين أسلوب السور وأسلوب فرامين الملوك مناسبةٌ تامة، رُوعي في البداية والنهاية طريق المكاتيب، فكما أنهم يبتدؤن بعضَها بحمد الله تعالى، وبعضَها ببيان غرض الإملاء، وبعضَها ببيان اسم المرسِل والمرسَل إليه، وبعضُها تكون رُقعَةً وَشِقَةً بغير عنوان، وبعضُها تكون طويلة وأخرى مختصرة، كذلك استهَلَّ الله تعالى بعض السور بالحمد والتسبيح، وبعضها ببيان غرض التنزيل، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾[2].

وهذا القسم من السُّور **يُشبِهُ بما يكتبون**: "هذا ما صالح عليه فلان وفلان" و "هذا ما أوصى به فلان"، وقد كتب النبي ﷺ في صلح الحديبية: "هذا ما قاضى عليه محمد *

واستهلَّ بعضها بذكر المرسِل والمرسَل إليه، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[4].

وهذا القسم يشبه بما يكتبون: "صدر الحكم من الباب العالي" أو يكتبون: "هذا إعلام من حضرة الخلافة إلى سكَّان البلد الفلاني بأن" إلخ، وقد كتب النبي ﷺ: "من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم الروم"**.

يُشبِهُ بما يكتبون: أي في استهلال الوثائق والمعاهدات.

* البخاري ص ٣٧٢. ** البخاري (١: ٥).

(١) البقرة: ٢. (٢) النور: ١. (٣) الجاثية: ٢. (٤) هود: ١.

واستهلّ بعضها على أسلوب **الرِّقاع والشِّقَق** بغير عنوان، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[3].

منهج القصائد في مبتدأ بعض السور:

ولما كانت فصاحةُ العرب تتجلى في القصائد، وكان من عاداتهم القديمة في مبدأ **القصائد التشبيبُ** بذكر المواضع العجيبة والوقائع الهائلة، فاختار سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في بعض السور، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ، فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا، فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[6].

خواتم السور على منهج الفرامين:

وكما أن الملوك يختمون فرامينهم بجوامع الكلم، ونوادر الوصايا، والتأكيد البليغ بتمسّك الأوامر المذكورة، والتهديد الشديد لكل من يخالفها، كذلك ختم الله تبارك وتعالى أواخر السور بجوامع الكلم، ومنابع الْحِكَم، والتأكيد البليغ، والتهديد العظيم.

تخلل الكلام البليغ في أثناء السور:

وقد يؤتى في أثناء السور بالكلام البليغ العظيم الفائدة البديع الأسلوب، الذي يشتمل على نوع من الحمد والتسبيح، أو على نوع من النعم والامتنان، كما: بدأ بيان التباين بين مرتبة الخالق والمخلوق بقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[7]، ثم بين هذا الموضوع في خمس آيات بأبلغ وجه وأبدع أسلوب.

الرِّقاع: جمع الرقعة: القطعة من الورق التي تكتب فيها(پرچہ). **والشِّقَق:** جمع الشِّقَّة: ما شُقَّ من ثوب أو ورق مستطيلاً (کپڑے وغیرہ کی لمبی چٹ). **القصائد التشبيبُ:** شبَّب قصيدته: حسَّنها وزيّنها بذكر النساء، والعادة أن يكون التشبيب في مبدأ قصائد المدح، ثم سمي ابتداء كل أمر تشبيباً، وإن لم يكن فيه ذكر الشباب والنساء.

[1] المنافقون: ١. [2] المجادلة: ١. [3] التحريم: ١. [4] الصافات: ١و٢. [5] الذاريات: ١و٢. [6] التكوير: ١و٢.
[7] النمل: ٥٩.

وبدأ مخاصمةَ بني إسرائيل في أثناء سورة البقرة بقوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟﴾[1] ثم ختمها بنفس هذا الكلام، فابتداء المحاجَّة بهذه الكلمة وانتهاؤها بها **يَحْتَلُّ** مكاناً عظيماً في البلاغة.

وبدأ المخاصة مع أهل الكتاب في سورة آل عمران بقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[2] ليتَّضِح محلُّ النزاع، ويدورَ **الحِوارُ** على ذلك المدعى، والله أعلم بحقيقة الحال.

الفصل الثاني

في تقسيم السور إلى الآيات، وأسلوبها الفريد

لقد جرت سنة الله تعالى **في أكثر السور** بتقسيمها إلى الآيات، كما كانوا يقسمون القصائدَ إلى الأبيات.

الفرق بين الآيات والأبيات:

وغاية ما يقال في الفرق بينهما: أن كلاً منهما **نشائد**، التي تُنشَد لالتذاذ نفس المتكلم والسامع، إلا أن الأبياتَ مقيدةٌ **بالعَروض والقوافي** التي دوَّنها **الخليل بن أحمد**، وتلقَّاها منه الشعراء، وبناء الآيات على الوزن والقافية الإجماليين، يشبهان أمرًا طبيعياً، لا على أفاعيل العروضيين و**تفاعيلهم**، وقوافيهم

يَحْتَلُّ: احتلَّ مكاناً: حلَّه ونزله واحتلَّ مكاناً عظيمًا في البلاغة (فصاحت میں اس کا بہت اہم مقام ہے). **الحِوارُ**: (گفتگو، بات چیت). **في أكثر السور**: ستقف على فائدة التقييد بالأكثر في آخر الفصل. **نشائد**: جمع النشيد، والنشيدة: ما يرفع فيه الصوت مع التلحين (گانا، ترانہ، شعر جس کو راگ کے ساتھ بلند آواز سے پڑھیں) وأنشد الشعر: قرأه رافعًا به صوته. **بالعَروض والقوافي**: العروض: ميزان الشعر الذي يظهر به المتزن من المختلّ، والقافية: آخر كلمة في البيت، أو هي من آخر ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، فلو قلت مثلاً: "ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَم" كانت القافية "لم ينم". **الخليل بن أحمد**: هو خليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه، ولد سنة ١٠٠ هـ، وتوفي سنة١٧٠ هـ. **تفاعيلهم**: الأفاعيل والتفاعيل: أمثلة الأجزاء التي يتألف منها الشعر، وهي أربعة: فُعولن، مفاعيلن، مفاعلتن، فاعلاتن، وبقية الأجزاء مأخوذة منها.

(1) البقرة: ٤٧ و١٢٢. (2) آل عمران: ١٩.

المعينة التي هي أمر صناعي واصطلاحي.

الأمر المشترك بين الآيات والأبيات:

وأما تنقيح الأمر المشترك بين الآيات والأبيات - ونعبِّر ذلك الأمرَ العامَّ **بالنشائد** - ثم ضبطُ تلك الأمور التي التُزم بها في الآيات - وذلك بمنزلة الفصل - فكلٌّ ذلك يحتاج إلى تفصيل، والله ولي التوفيق.

وتفصيل هذا الإجمال: أن الفطرة السليمة تدرك بذوقها في القصائد الموزونة المقفّاة، والأراجيز الرائقة الجميلة، وأمثالها حلاوةً وعذوبةً، وإذا تأمّل أحد في سبب إدراك تلك الحلاوة، وجد أن نفس المخاطب تتذوَّق لذةً خاصة في الكلام الذي يوافق بعضُه بعضاً، ويجعلُها منتظرًا إلى كلام آخر مثلِه، فإذا سمعتُ بعد ذلك البيتَ الآخرَ مع ذلك التوافق والانسجام بين أجزائه، وتحقّق الأمرُ المنتظَر، تضاعفت اللذةُ عند ذلك، ولمّا كان البيتان مشتركين في قافية واحدة، ازدادت اللذّةُ ثلاثةَ أضعافها، فالتمتع والالتذاذ بالأبيات بهذا السِّر فطرة قديمة فُطر الناس عليها، وأصحابُ الأمزجة السليمة من أهل الأقاليم المعتدلة متفقون على ذلك.

ثم حدثت بعد ذلك مذاهبُ مختلِفة ورسومٌ متباينة في توافق **الأجزاء** في كل بيت من الأبيات، وكذا في شروط القوافي المشتركة بين الأبيات، فالعرب عندهم ضوابط وأصولٌ بينها الخليل، والهنود يتبعون قانوناً يحكم به سليقتهم اللغوية و**قريحتُهم** الفطرية، وهكذا اختار أهل كل عصر وَضعاً من **الأوضاع**، وسلكوا مسلكاً من المسالك.

التوافق التقريبيُّ هو الأمر المشترك بين مختلف الكلام المنظوم:

وإذا أردنا أن ننتزع من بين هذه الرسوم والمذاهب المختلفة أمرًا جامعًا مشتركًا، وتأملنا السِّر المتنتشر الشاملَ فيها، وجدنا أنه هو التوافق التقريبي لا غير؛ لأن العرب يستعملون: **مفاعيلٌ** ومفتعلن مكان

بالنشائد: وهذا بمنزلة الجنس. **الأجزاء:** أركان الوزن. **قريحتُهم:** القريحة من الإنسان: طبيعته التي جُبل عليها. **الأوضاع:** الوضع: هيئة الشيء التي يكون عليها. **مفاعيلٌ:** الإعراب حكائي.

مستفعلُن، ويعتبرون فُعلاتُن بدل فاعلاتُن وفقَ القاعدة، ويجعلون موافقةَ **ضَربِ** بيت بضرب بيت آخر، وموافقةَ عَروض بيت بعروض بيت آخر أمرًا مهمًّا، ويجوِّزون **زِحافاتٍ** كثيرةً في **الحشو** بخلاف شعراء الفُرس، فإن الزِّحافات عندهم **مستهجنة**.

وكذلك تستحسن العربُ كونَ القافية في البيت "قبورًا"، وفي البيت الآخر "منيرًا" بخلاف شعراء العجم.

وهكذا يرى الشعراء العرب أن "حاصل" و "داخل" و "نازل" من قسم واحد، بخلاف الشعراء العجم.

وكذلك وقوع كلمة واحدة بين شطرَيِ البيت بحيث يكون نصفها في **الصَدر**، والنصف الآخر في العَجُزِ صحيح عند العرب، لا عند العجم.

وفَذلكة القول: أن الأمر الجامع المشترك بين الكلام المنظوم العربي والفارسي هو التوافق التقريبي لا التوافق التحقيقي.

وقد وضع الهنود أوزان شعرهم على عدد الحروف بدون ملاحظة الحركات والسكنات، وهي أيضًا تمنح لذةً وحلاوة، وقد سمعنا بعضَ أهل البداوة يختارون في **تغريداتهم** التي يتلذذون بها كلامًا متوافقًا بتوافق تقريبي أو **رديفًا** - تارة يكون كلمة واحدةً، وأخرى يزيد عليها - وينشدونها مثل القصائد، ويتلذذون بها، ولكل قوم أسلوب خاص في كلامهم المنظوم.

وهكذا وقع اتفاق الأمم على الالتذاذ بألحانٍ ونغماتٍ، وتحقَّق اختلافهم في قوانين تغريدهم وأساليب **تلحينهم**.

وقد وضع اليونانيون عددًا من الأوزان، يسمونها "المقاماتِ"، واستنبطوا منها أصواتاً وَشُعَباً، ودوَّنوا لأنفسهم فنًّا مبسوطاً مفصّلاً.

ضَرْب: الضرب: الجزء الأخير من المصراع الثاني من البيت، والعروض هنا هو الجزء الأخير من المصراع الأول من البيت. **زِحافاتٍ:** الزحاف: تغيير يَلْحق ثاني السبب الخفيف أو الثقيف. **الحشو:** أركان البحر الواقعة بين الصدر والعروض، وبين الابتداء والضرب. **مستهجنة:** استهجنه: استقبحه. **الصَدْر:** الصدر: المصراع الأول من البيت، والعَجُز: المصراع الثاني منه. **تغريداتهم:** غرَّد الطائر والإنسان: رفع صوته بالغناء وطَرَّب به. **رديفًا:** والرديف عند العجم: كلمة مستقلة تأتي في آخر البيت بعد القافية. **تلحينهم:** لحَّن في قراءته: طرَّب فيها وغرَّد بألحان.

وكذلك وضع الهنود ستة نغمات، وفرَّعوا منها **نُغَيْمَاتٍ**، وقد رأينا أهلَ البداوة منهم الذين لا يعرفون هذين المصطلحين، تفطّنوا بحسب سليقتهم لتأليف الكلام وتلحينه، وتغنَّوا به من دون أن يضبطوا له الكلياتِ ويحصُروا له الجزئيات.

وإذا حكَّمنا **الحَدْسَ** بعد هذه الملاحظات، لم نجد الأمر المشترك سوى التوافق التقريبي؛ ولا غرض للعقل إلا بذلك المنتزع الإجمالي، ولا همَّ له في تفاصيل **القوافي المردفة الموصولة**، ولا يجب الذوق السليم إلا تلك الحلاوة المحضة والعذوبة الخالصة، ولاعلاقة له بطويل البحر ومديده.

مراعاة القرآن الكريم للحسن الإجمالي المشترك:

ولمّا أراد الخلاَّق – جلَّتْ قدرته – أن يخاطب الإنسان المخلوق من قُبضةِ طِيْنٍ، نظر إلى ذلك الحسن الإجمالي والجمال المشترك فحسب، ولم ينظر إلى قوالبَ مستحسنة عند قوم دون قوم، وحينما شاء مالك الملك أن يتكلم على منهج الآدميين، لاحظ ذلك الأصل البسيط والسر المشترك، ولم يراع هذه القوانين المتغيرة بتغير الأدوار والأطوار.

ومبنى التمسك بالقوانين الاصطلاحية هو الْعَجْز والجهل، وتحصيلُ تلك الحسنِ الإجمالي والجمال الفني بدون توسط تلك القواعد – بحيث لا يتغير البيان في **الوِهاد والأنجاد** ولا يَضيع الكلام في السُّهول والجبال – **معجِز ومفحَم**، وأنا أنتزع من جَرَيان الحق تعالى على ذلك السَّنن أصلاً، وأضع

نُغَيْمَاتٍ: نغمة: راگ، نُغَيْمَة: راگنياں. **الحَدْسَ:** سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج. **القوافي المردفة الموصولة:** الرَّويُّ: الحرف الذي تُبْنى عليه القصيدة، وإليه تُنْسب، يقال: قصيدة بائية: إذا كان رَوِيُّها الباء، ثم الرَّويُّ إن كان ساكناً فمقيد، والقافية مقيدة، وإلا فمطلق والقافية مطلقة، فإن سبقه مدَّة أو لين فَردفٌ، والقافية مردفة، وإن لَحِقَه مَدَّة أو هاء ساكنة بلا فصل فوصل، والقافية موصولة، فمثال القافية المردفة الموصولة: "ومن أين للوجهِ المليح ذنوبٌ؟": الرِّدف واو في آخر الباء، والوصل واو قبل الباء، وكذا: "وقلنا القومُ إخوانٌ" الردف واو، والوصل ألف (محيط الدائرة). **الْوِهاد والأنجاد:** الأرض المنخفضة، والأنجاد جمع نَجْد: المكان المرتفع. **معجِز ومفحَم:** أي إن الاحتياج إلى القوانين العرفية لعجز الإنسان وجهله، فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك الحسن الإجمالي بكماله بدون توسط تلك القواعد الفنية، ولكن الله تعالى قادر على كل شيء، فلا حاجة له إلى تلك القوانين الاصطلاحية لتحصيل ذلك الجمال المشترك بين كلام طوائف الناس.

منه قاعدةً، وتلك القاعدة: أنه تعالى قد راعى في أكثر السور امتداد **النفس** لا البحر الطويل والمديد، وكذلك اعتبر في الفواصل انقطاعَ النفَس بالمدَّة، وبما تستقر عليه المدَّة، لا قواعدَ فن القافية.

وهذه الكلمة أيضًا تقتضي بسطاً وتفصيلاً فَلْيُلقِ القارئ السمعَ لما يُذكر بالتالي.

الامتداد النفَسي الطبيعي هو الوزن في القرآن:

اعلم أن دخولَ النفَس في الحلقوم وخروجَه منه أمر طبيعي في الإنسان، وإن كان تمديدُه وتقصيره من مقدوره، ولكنه إذا تُرك على سجِيّته فلابد له من امتداد محدود، والإنسان حينما يتنفس يجد النشاط، ثم يضمَحِلُّ ذلك النشاطُ تدريجاً، حتى ينقطع كلياً في آخر الأمر، ويضطر إلى أخذ النفَس الجديد الطازج.

وهذا الامتداد أمر محدَّد بحدٍ مُبهَم، ومقدَّر بمقدار مشترك بحيث لا يَضُرُّه نقصانُ كلمتين أو ثلاثٍ، بل ولا نقصان قَدْر الثلث والربع وكذلك لا يُخرجه عن الحد زيادةُ كلمتين أو ثلاث، بل ولا زيادة قدر الثُلث والربع، ويسع فيه اختلاف عدد **الأوتاد والأسباب**، ويُسامح فيه بتقدم بعض **الأركان** على بعض.

فجُعل هذا لامتدادُ النفَسي وزناً، وقُسِّم على ثلاثَة أقسام:

(١) طويل (٢) ومتوسط (٣) وقصير

١- أما الطويل: فنحو سورة النساء.

٢- وأما المتوسط: فنحو سورة الأعراف والأنعام.

٣- وأما القصير: فنحو سورة الشعراء والدخان.

النفَس: - بفتح الفاء - ريح يدخل ويخرج من فم الحي حالة التنفس (سانس)، والجمع أنفاس.

الأوتاد والأسباب: الوتد: ثلاثة أحرف ثانيها أو ثالثها ساكن، فإن سكن كما في "قول" فهو الوتد المفروق، وإن تحرك وسطها، وسكن آخرها كما في "على" فهو الوتد المجموع، والسبب: حرفان، ثانيهما ساكن نحو "لَمْ" ويسمّى سبباً خفيفًا، وإن كانا متحركين، فهو سبب ثقيل، نحو: "أَرَ" في لم أر. **الأركان:** أفاعيل العَروضيين وتفاعيلهم.

خاتمة النفَس على المدَّة هي القافية في القرآن:

وخاتمة النفَس على المدَّة المعتمِدَة على حرف، هي القافية المتسعة التي يتلذذ الطبع من إعادتها مرارًا، ولو كانت تلك المدَّة في موضع "ألفًا"، وفي موضع آخر "واوًا" أو "ياءً"، وسواء كان ذلك الحرف الأخير في موضع "باء"، وفي موضع آخر"مِيماً" أو "قافا" فــ"يعلمون" و "مؤمنين" و "مستقيم" كلُّها متوافقة، و"خروج" و"مريج" و"تحيد" و"تبار" و"فواق" و"عجاب" كلُّها على قاعدة.

لحوق الألف في آخر الكلمة أيضًا قافيةٌ:

وكذلك لحوق الألف في آخر الكلمة قافية متسعة في إعادتها لذة، ولو كان حرف **الروى** مختلفاً فيقول في موضع "كريماً" وفي موضع آخر "حديثاً"، وفي موضع ثالث "بصيرًا".

فإن التُزم في هذه الصورة موافقةُ الروي، كان من قبيل: "**التزام** ما لا يلتزم" كما وقع في أوائل سورة مريم وسورة الفرقان.

توافق الآيات على حرف واحد وإعادة الجملة مفيدُ لذةٍ:

وكذلك توافق الآيات على حرف واحد، كحرف "الميم" في سورة القتال، و"النون" في سورة الرحمن يفيد لذة وحلاوة.

وكذلك إعادة جملة بعد طائفة من الكلام مفيدُ لذَّةٍ كما وقع في سورة الشعراء، وسورة القمر، وسورة الرحمن، وسورة المرسلات.

اختلاف فواصل آخر السورة من أوائلها:

وقد تُبَدَّل فواصلُ آخر السورة أوائلها تنشيطًا للسامع، وإشعارًا بلطافة الكلام، مثلُ:"إدًّا" و"هدًّا" في آخر سورة مريم، ومثلُ: "سلامًا" و "كرامًا" في آخر سورة الفرقان، ومثلُ: "طين" و"ساجدين"

الروي: كل حرف يقع آخر البيت، إلا ما استثنى منه من التنوين، أو بدل من التنوين، أو حرف إشباعي مجلوب لبيان الحركة، وما إلى ذلك. **التزام إلخ:** اسكو سرلے ليا جسكو سرلينا ضروری نہيں تھا۔

و"منظرين" في آخر سورة "ص"، مع أن الفواصل في أوائل هذه السور جاءت مختلفةً عنها، كما لا يخفى، فجُعل الوزن والقافيةُ اللذان مضى التعبير **عنهما** مهمًّا في أكثر السور.

منهج القرآن في الفواصل:

إن كان اللفظ في آخر الآية صالحاً للقافية فبها، وإلا وصل بجملةٍ فيها بيان آلاء الله، أو تنبيهٌ للمخاطب، كما يقول: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقد يُطنب في مثل هذه المواضع، مثلُ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[1]، ويستعمل التقديم والتأخير تارة، والقلب والزيادة أخرى، مثلُ: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾[2] في إلياس، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[3] في سَيناء.

السرُّ في الآية الطويلة مع الآيات القصيرة وبالعكس:

وليُعلم ههنا: أن **انسجام** الكلام وسهولتَه على اللسان - لكونه مَثَلاً سائرًا، أو لتكرر ذكره في الآية - يَجعل الكلامَ الطويل موزوناً مع الكلام القصير.

وربما يؤتى بالفقر الأوَل أقصرَ من الفقر التالية، وهو يفيد عذوبة في الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[4]، فكأن المتكلم يُضمر في نفسه في مثل هذا الكلام: أن الفقرة الأولى مع الثانية في **كِفَّة** والفقرةَ الثالثة وحدَها في كفة.

الآية ذات القوائم الثلاث:

وربما تكون الآية ذاتَ قوائم ثلاثٍ، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ الآية، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ الآية﴾[5] والعامَّة يصِلون الأولى مع الثانية فيحسبونها طويلة.

عنهما: أي بالتوافق التقريـبيّ، والمدة المعتمدة على حرف. **انسجام**: انسجم الكلام: انتظم. **كِفَّة**: الكفة من الميزان: ما يُجعل فيه الموزون (بلُرا).

(١) الفرقان: ٥٩. (٢) الصافات: ١٣٠. (٣) التين: ٢. (٤) الحاقة: ٣٠-٣٢. (٥) آل عمران: ١٠٥-١٠٧.

الآية ذات الفاصلتين:

وقد يجيء سبحانه وتعالى بفاصلتين **في آية واحدة** كما يكون ذلك في البيت أيضًا، نحو:

كالزهر في تَرَفٍ، والبدر في شرف والبحرِ في كرم، والدهر **في هِمَم**

أطول آية مع الآيات القصار:

وقد يجيء بالآية الواحدة **أطولَ من سائر الآيات**، والسر فيه: أنه لو وُضع حسن الكلام الـــذي نشأ من تقارب الوزن ووجدان الأمر المنتظَر الذي هو القافية في كِفّة، ووُضع حسنُ الكلام الذي نشأ من سهولةِ الأداء وموافقةِ طبع الكلام، وعدمِ لحوق التغير فيه في كفة أُخرى، ترجّح الفطرةُ السليمة **جانبَ المعنى** فيُهمِلُ أحدَ الانتظارَين، ويوفّي الحقَ في الانتظار الثاني.

لم يُراع ذلك الوزنَ والقافية في بعض السور:

وأما ما قلنا في فاتحة المبحث: أن سنة الله تعالى قد جرت في أكثر السور على ذلك، فإنما هو لأجل أن الله سبحانه وتعالى لم يُراع في بعض السور ذلك النوع من الوزن والقافية، فجاءت طائفة من الكلام على منهج خُطَب الخطباء وأمثال الحكماء، ولعلك قد سمعتَ مسامرةَ النساء المرويةَ عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها* وفهمت قوافيَهَا، ووقع الكلام في بعض السور على منهج رسائل العرب بدون رعاية شيء، مثل محاورة الناس، إلا أنه يختم كل كلام بشيء يكون مبنياً على الاختتام.

والسرّ هنا: أن الأصل في لغة العرب هو الوقف في موضع ينتهي إليه النفَس، ويضمحلّ نشاطُ

في آية واحدة: كقوله تعالى: "رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ" (الرحمن: ١٧)، وقوله تعالى: "مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا" (نوح: ٢٥). **في هِمَم:** والشعر من القصيدة البردة في وصف النبي صلى الله عليه وسلم، والترف: النعومة، والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم مثلُ الزهر في اللطافة، والبدر في الشرف، والبحر في الكرم، والدهر في العزم على الشيء . **أطول من سائر الآيات:** كما في سورة المدثر ٣١، فإنها أطول مما قبلها.

جانبَ المعنى: يعني ترجَّح حسن الكلام الذي نشأ من سهولة الأداء إلخ.

* صحيح البخاري ص: ٧٧٩.

الكلام، والمستحسن في محل الوقف انتهاء النفَس على المدَّة، ومن أجل هذا تشكَّل الكلام في صورة الآيات، هذا ما فتح الله تعالى على العاجز في هذا الباب، والله أعلم.

وجه اختيار الأوزان **والقوافي الجديدة:**

وإن سألوا: لماذا لم يختر سبحانه وتعالى تلك الوزن والقافية اللذَيْنِ هما معتبران عند الشعراء، وهما ألذّ من هذا؟

قلنا: كونُهما ألذّ يختلف باختلاف الأقوام والأذهان، ولو **سلمنا**، فإبداع أسلوب من الوزن، والقافية على لسان رسول الله ﷺ -وهو أميٌّ - آية ظاهرة على نبوته ﷺ.

ولو نزل القرآن على أوزان الأشعار وقوافيها لحسب الكفار أنه هو الشعر المعروف المشهور عند العرب، ولم يَجنُوا من ذلك الحسبان فائدةً، كما أن البلغاء من الشعراء والكتَّاب حين يحاولون إبراز مزيتهم، ورجحانَهم على أقرانهم على رؤوس الأشهاد يستنبطون صناعة جديدة، ويتحدَّون: "هل من رجل يقرض الشعر مثلي، ويكتب الرسالة نحوي؟" ولو جرى هؤلاء على النمط القديم لم تظهر براعتهم إلا على المحققين البارعين.

الفصل الثالث

في وجه التكرار في العلوم الخمسة وعدم الترتيب في بيانها

(١) إن سألوا: لماذا كرِّرت مطالبُ العلوم الخمسة في القرآن العظيم؟ ولِمَ لم يكتفِ سبحانه وتعالى ببيانها في موضع واحد؟

قلنا: إن ما نريد إفادته للسامع على قسمين:

الأول: أن يكون المقصودُ هناك مجردَ تعليم ما لا يعلم، فالمخاطب الذي لا يدري حكماً من الأحكام ولم يدركه عقله، إذا سمع هذا الكلام يصير ذلك المجهول عنده معلومًا.

والقوافي الجديدة: غيرتُ هذا البحث من موضعه إلى هنا؛ لاتِّساقِه مع مباحث الفصل. **سلمنا:** أي لو سلمنا أن أوزان الشعراء وقوافيهم ألذّ مطلقاً عند جميع طوائف الناس لقلنا: إبداع إلخ.

والثاني: أن يكون المقصودُ استحضارَ صورةِ ذلك العلم في قوته المداركة ليتلذذ به لذة تامة، وتفنَى القوى القلبية والإدراكية في ذلك العلم، ويغلب لونُ ذلك العلم القُوى كلَّها حتى تنصبغ به، كما نكرر الشعر الذي علمناه معناه، فنجد كلَّ مرة لذةً جديدة، ونحب التكرار لأجل هذه الفائدة.

والقرآن العظيم أراد إفادة القسمين المذكورين بالنسبة إلى كل واحد من مباحث العلوم الخمسة، فأراد تعليمَ ما لا يعلم بالنسبة إلى الجاهل، وأراد انصباغَ النفوس بتلك العلوم بتكرارها بالنسبة إلى العالِم، اللهم إلا أكثر مباحث الأحكام، فإنه لم يقع فيها هذا التكرار؛ لأن الإفادةَ الثانية غيرُ مطلوبة فيها.

ولأجل ذلك أمرنا الله تعالى بتكرار التلاوة والإكثار منها، ولم يكتف بمجرد الفهم.

ولكن راعى سبحانه وتعالى مع التكرار هذا القدر من الفرق: أنه اختار في أكثر الأحوال تكرارَ تلك المطالب بعبارة طريَّة وأسلوب جديد؛ ليكون أوقعَ في النفوس، وألذّ في الأذهان، ولو كرر سبحانه وتعالى بلفظ واحد لكان **كالورد** الذي يكررونه، وأما في صورة اختلاف التعابير وتنوع الأساليب فيخوض الذهن، ويتعمَّق الخاطر بأسره في تلك المطالب.

(٢) وإن سألوا: لماذا نُشِرت هذه المطالب في القرآن العظيم، ولم يُراع الترتيب، فيذكر آلاءَ الله أولاً، ويستوفي حقَّها، ثم يذكر أيامَ اللهِ فيُكمِلُها، ثم يبدأ بالجدل مع الكفار؟

قلنا: إن قدرةَ الله تبارك وتعالى وإن كانت محيطة بجميع الممكنات، ولكنَّ الحاكم في هذه الأبواب هو الحكمة.

والحكمة: هي موافقة المبعوث إليهم في اللسان وأسلوب البيان، وإلى هذا المعنى أشير في قوله تعالى: ﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[1].

ولم يكن لدي العرب إلى وقت نزول القرآن أيُّ كتاب لا من الكتب الإلهية، ولا من مؤلَّفات

كالورد: الوظيفة أي النصيب من القرآن أو الذكر، يقال: قرأتُ وِرْدي.

[1] فصّلت: ٤٤.

البشر، وإن الترتيب الذي اخترعه المصنفون اليوم لم يكن يعرفه العرب، وإن كنت في ريب من هذا، فتأمَّل قصائدَ الشعراء **المُخَضْرَمِيْنَ** واقرأ رسائلَ النبي الكريم ﷺ، ومكاتيبَ عُمَرَ الفاروقِ رضي الله عنه، يَتَّضِحْ لك هذه الحقيقة، فلو جاء الكلام على غير ما كانوا يعهَدونه من طرائق البيان لوقعوا في الحيرة، وَلَوَصَلَ إلى سمعهم شيء لا يألفونه، ولشوَّش عقولهم.

وأيضًا: لم يكن المقصود مجردَ إفادةِ ما لايعلمونه، بل المقصود هو الإفادة مع الاستحضار والتكرار، ويتوفَّر هذا المعنى في غير المرتب بأقوى وجهٍ وأتمِ صورةٍ.

الفصل الرابع

في وجوه إعجاز القرآن الكريم

وإن سألوا: ما هو وجه الإعجاز في القرآن الكريم؟

قلنا: الذي تحقَّق عندنا هو أن وجوهَ الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة:

منها: الأسلوب البديع؛ لأن العرب كانت لهم عِدَّةُ ميادينَ يركُضون فيها جَوَادَ البلاغة، ويتسابقون فيها مع أقرانهم، ألاَ وهي القصائد والخطب والرسائل والمُحَاورات، ولم يكونوا يعرفون غير هذه الأصناف الأربعة، ولم يكن عندهم قدرةٌ على إبداع أسلوب سواها، فإبداعُ أسلوب غيرِ أساليبهم على لسان النبي الأمي ﷺ عينُ الإعجاز.

ومنها: الإخبار عن القِصَص الماضية وأحكام الملل السابقة على وجه يصدِّق الكتب السابقة بدون تعلُّم من أحد.

ومنها: الإخبار بالأحوال الآتية، فكلَّما وُجد شيء منها على طبق ذلك الإخبار ظهر إعجاز جديد.

ومنها: الدرجة العليا من البلاغة التي ليست من مقدور البشر، ونحن إذ جئنا بعد العرب الأولين،

المُخَضْرَمِيْنَ: المخضرم: الذي مضى شيء من عمره في الجاهلية وشيء في الإسلام، وخصَّهم بالذكر ليعرف أسلوب العرب وقت نزول القرآن.

لا نستطيع أن نصلَ إلى كُنهِهَا، ولكنَّ القدرَ الذي نعلمه، هو أن استعمال الكلماتِ **الجَزْلة** والتركيبات العَذبةِ مع اللطافة وعدم التكلُّف، كما نجد ذلك في القرآن العظيم، لا نجد مثلَه في أيِّ قصيدة من قصائد المتقدمين والمتأخرين، وهذا أمر ذوقي يدركه - كما ينبغي - المهرةُ من الشعراء، ولا يتذوَّقه العامَّة.

وكذلك نعلم أن في أنواع التذكير الثلاثة، والجدل مع الكفار تُكسَى المطالبُ في كل موضعٍ حسبَ أسلوب السورة لباسًا جديدًا طريفًا، تقصُر يدُ المتطاول عن ذيله.

وإن تعسَّر إدراك ذلك على أحد فليتأمل في إيراد قِصَص الأنبياء في سورة الأعراف وهود والشعراء، ثم لْينظرْ إليها في الصافات، ثم ليقرأ هذه القصص نفسها في الذاريات، ليتجلى له الفرق.

وكذلك الحال في ذكر تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين، فقد يذكر ذلك في كل مقام بأسلوب جديد، وهكذا تخاصُمُ أهل النار بعضِهم مع بعض، يتجلى في كل مقام في صورة جديدة، والكلام في هذا يطول.

وكذلك نعلم أيضًا أن رعايةَ مقتضى الحال الذي تفصيلُه في علم المعاني، واستعمال الاستعارات والكنايات التي تكفَّل ببيانها علم البيان مع مراعاة حال المخاطبين الأميين الذين يجهلون هذه الصناعاتِ، لا يُتَصوَّر كلٌّ ذلك أحسن مما يوجد في القرآن العظيم؛ وذلك لأن المطلوب في القرآن الكريم أن نُودَعَ في المخاطبات **المعروفة** التي يعرفها كلُّ أحد من الناس، نكتةٌ رائقةٌ مفهومةٌ عند العامَّة، مرضيةٌ عند الخاصة، وهذا الأمر كالجمع بين الضدَّين ليس من مقدور البشر، والله على كل شيء قدير، ولله دَرُّ الشاعر حيث **يقول**:

يزيدُك وجههُ حُسناً إذا ما زدته نظرًا

الجَزلة: الجَزْل من الكلام: القوي الفصيح الجامع. **المعروفة**: الحِوار العام.

يقول: قد ذكر المصنف هنا شعرًا فارسياً، وهو

ز فرق تا قدمش هر كجا كه مى نگرم كرشمه دامن دل مى كشد كه جا اينجاست

ومنها: وجهٌ لا يتيسر فهمُه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع، وذلك: أن العلوم الخمسة نفسَها تدل على أن القرآن نازل من عند الله تعالى لهداية بني آدم، كما أن عالم "الطب" إذا نظر في "**القانون**" ولاحَظ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها، ووصف الأدوية وخواصِّها، لا يَشُكُّ أن المؤلف كامل في صناعة الطب، كذلك إذا علم العالِمُ بأسرار الشرائع الأشياء التي ينبغي تلقينها للناس لتهذيب نفوسهم، ثم يتأمل في العلوم الخمسة، يَعلم قطعاً: أن هذه الفنون قد وقعت موقَعَها، بحيث لا يُتصور أحسنُ منه:

والشمسُ الساطعةُ تدل بنفسها على نفسها
فإن كنتَ في حاجة إلى الدليل **فلا تُولّ وجهك عنها**

القانون: القانون في الطب للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله المعروف بابن سينا، المتوفى سنة ٤٢٨ هـ.
فلا تُولّ وجهك عنها: ليس هذا بشعر، إنما هو ترجمة للشعر الفارسي:

آفتاب آمد دليل آفتاب گر دليلت بايد از وے رو متاب

الباب الرابع

في بيان مناهج التفسير وتوضيح الاختلاف الواقع في تفاسير الصحابة والتابعين

طوائف المفسرين:

لِيُعلم أن المفسرين عِدَّةُ أصناف:

جماعة قصدوا روايةَ آثار مناسبة للآيات، سواء كان حديثاً مرفوعاً أو موقوفًا أو **مقطوعًا** أو خبرًا إسرائيلياً، وهذا طريق المحدثين.

وفرقة قصدوا تأويلَ آيات الصفات والأسماء، فما لم يُوافق منها **مذهبَ التنزيه** صرفوها عن الظاهر، وردّوا على استدلال المخالفين ببعض الآيات، وهذا طريق المتكلمين.

وقوم صرفوا عنايتهم إلى استنباط الأحكام الفقهية، وترجيح بعض المجتهدات على بعض، والجوابِ عن تمسك المخالفين، وهذا طريق الفقهاء الأصوليين.

وجمعٌ أوضحوا **إعراب القرآن** ولغته، وأوردوا الشواهد من كلام العرب في كل باب موفورةً تامةً، وهذا منهج النحاة اللغويين.

وطائفة يذكرون نكات المعاني والبيان بياناً شافيًا، ويتفاخرون في ذلك الباب، وهذا طريق الأدباء.

واهتم بعضُهم برواية القراءات المأثورة عن شيوخهم، فلم يدَعوا دقيقاً ولا جليلاً في هذا الباب إلا جاؤوا به، وهذه صفة القراء.

وبعضهم يُطلقون اللسان بنكات متعلقة **بعلم السلوك**، أو علم الحقائق بأدنى مناسبة، وهذا مشرب الصوفية.

مقطوعًا: الحديث المرفوع: ما رُفع إلى النبي ﷺ. والحديث الموقوف: ما انتهى إلى الصحابي، والحديث المقطوع: ما انتهى إلى التابعي. **مذهب التنزيه:** هو مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الصفات المتشابهات. **إعراب القرآن:** قوله: "إعراب القرآن" يعني نحو القرآن وصرفه. **بعلم السلوك إلخ:** هو علم الإحسان، وعلم الحقائق كالغاية له.

وبالجملة: فالمجال واسع، ويقصُد كلٌّ منهم تفهيمَ معانى القرآن الكريم، وخاض في فن من الفنون، وتكلَّم على قدر فصاحته وفهمه، واتَّخذ مذهب أصحابه نصبَ عينيه، ولأجل ذلك اتَّسع مجالُ التفسير اتِّساعًا لا يُحدُّ قدرُه، وصُنِّفت كتب كثيرة لا يحصرها عدد.

جوامع التفاسير:

وقصد جماعة منهم إلى جمع ذلك كلِّه في تفاسيرهم، فمنهم من تكلَّم بالعربية، ومنهم من تكلم بالفارسية، واختلفوا في الاختصار والإطناب، ووسَّعوا أذيال العلم.

منَّ الله به علَيَّ في علم التفسير:

وقد حصل للفقير - بحمد الله تعالى وتوفيقه - مناسبةٌ في كل فن من هذه الفنون، وأَحَطتُّ بِمُعظَمِ أصولها، وبجملةٍ صالحةٍ من فروعها، وفُزتُ بنوع من التحقيق والاستقلال في كل باب من أبوابها بوجه يُشبِهُ **الاجتهادَ في المذهب**، وألقى في خاطري من بحر الجود الإلهي فنان أو ثلاثة من فنون التفسير، سوى الفنون المذكورة سالفًا، وإن سألتني عن الخبر الصدق فأنا تلميذُ القرآن العظيم بلا واسطة، كما أني **أُوَيْسِيّ** في الاستفادة من روح النبي ﷺ، وكما أني مستفيد من **الكعبة الحسناء** بدون واسطة، وكذلك متأثر **بالصلاة العظمى** بغير واسطة:

الاجتهادَ في المذهب: هو أن يكون الرجل مجتهدًا مستقلاً في الفروع لا في الأصول. **أُوَيْسِيّ**: نسبة إلى أُويس بن عامر القَرَني الزاهد التابعي، وحديث فضله في صحيح المسلم في كتاب فضائل الصحابة (٩٤:١٦) كان أسلم في زمن النبي ﷺ وهو باليمن، وكان له أمٌّ، وكان بارًّا بها، فلم يسافر من اليمن للقاء النبي ﷺ، واستفاد من روحه ﷺ، فبلغ منازلَ السائرين، كذلك صاحبنا الإمام استفاد منه ﷺ بلا واسطة وبدون لقاء. **الكعبة الحسناء**: كعبہ شریف، والمسلمون يستفيدون منها بواسطة الصلاة، والكَمَلَة من الرجال يستفيدون منها بلا واسطة، والحسناء تأنيث الحسن. **بالصلاة العظمى**: الصلوات المفروضة والنافلة، وكذا الصلوات الخمس كلها أفراد الصلاة المطلقة الكاملة وهي الصلاة العظمي التي تتمثل في عالم المثال، فإن المعنويات لها أجسام هناك والمسلمون يتأثرون بها بواسطة أفرادها، وأما الذين بلغوا أقصى مدارج السالكين فيتأثرون بها بدون واسطة أيضًا، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: "جعلت قرة عيني في الصلاة"، ولكن مهما بلغ الرجل المنازل لا يستغني عن أفرادها، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: "أرحنا بها يا بلال".

ولو أن لي في كل مَنبَتِ شَعــره لساناً لما استوفيتُ واجبَ حمدِه

وأرى من اللازم أن أكتب كلماتٍ عديدة في هذه الرسالة عن كل فن من **هذه الفنون**.

الفصل الأول

في بيان الآثار المروية في تفاسير أصحاب الحديث، وما يتعلق بها

قسمان من أسباب النزول:

ومن جملة الآثار المروية في كتب التفسير بيان سبب النزول، وأسباب النزول على قسمين:

الأول: أن تقع حادثة يُمَحَّص بها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين، كما وقع ذلك في غزوَتَي أُحُدٍ والأحزاب، فأنزل الله تعالى مدحَ أولئك وذَمَّ هؤلاء؛ ليكون فَيصَلاً بين الفريقين، وتقع في أثناء ذكر الحادثة تعريضاتٌ كثيرة بخصوصياتها، فيجب أن تُشْرَحَ الحادثةُ بكلام مختصر ليتَّضِحَ على القارئ سياقُ الكلام.

والثاني: أن يكون معنى الآية تامًا بعموم صيغتها من دون حاجة إلى معرفة القصة التي هي سبب النزول؛ لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، والقدماءُ من المفسرين قد ذكروا تلك الحادثة بقصد استيعاب الآثار المناسبة للآية، أو بقصد بيان ما صدق عليه عمومُ الآية، وليس من الضروري ذكر هذا القسم.

معنى قولهم: "نزلت الآية في كذا":

وقد تحقَّق لدي الفقير: أن الصحابة والتابعين ﷺ كثيرًا ما كانوا يقولون: "نزلت الآية في كذا"، ويكون غرضُهم تصويرَ ما صدقتْ عليه الآية، أو ذكرَ بعضِ الحوادث التي تشتملها الآية بعمومها، سواء تقدّمت القصةُ على نزول الآية أو تأخرت عنه، إسرائيليةً كانت القصة أو جاهلية أو إسلامية، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها، والله أعلم.

هذه الفنون: يعني من الفنون مناهجَ المفسرين، ثم اعلم أن الإمام تحدَّث في الفصل الأول عن تفسير المحدثين، وفي الفصل الثاني عن بقية الأصناف.

فَعُلم من هذا التحقيق: أن للاجتهاد **في هذا القسم** مدخلاً، وللقصص المتعددة هناك مجالاً، فمن استحضر هذه النكتة يستطيع أن يعالج اختلاف أسباب النزول بأدنى تأمل.

أمور في التفسير لا طائل تحتَها:

ومن **جملة ذلك**: تفصيل قصة وقع في نظم القرآن تعريض بأصلها، **فيستقصِي** المفسرون تفاصيلها من أخبار بني إسرائيل، أو من كُتب السِّيَرِ فيذكرونها بجميع أجزائها.

وههنا أيضًا تفصيل: إن كانت الآية تشتمل على تعريض بالقصة بحيث يتوقف العارف باللغة هناك، ويبحث عنها، فذكرها من وظيفة المفسر، وما كان خارجاً منها مِثلُ ذكر بقرة بني إسرائيل: أذكرًا كانت أم أنثى؟ ومثلُ بيان كلب أصحاب الكَهْفِ: هل كان **أبقعَ** أم أحمر؟ فذكره مما لا يعنيه، وكانت الصحابة ﷺ يكرهونه، ويعدُّونه من قبيل تضييع الأوقات.

القدماء ربما يفسِّرون على سبيل الاحتمال:

وليُحْفظ ههنا أيضًا نكتتان:

الأولى: أن الأصل **في هذا الباب** إيرادُ القِصَص المسموعة كما رُوِيت من غير تصرُّف عقلي فيها، وأما طائفةٌ من قدماء المفسرين فيضعون ذلك التعريض نَصْبَ أعيُنهم، ويَفرضون له محَمَلاً مناسباً، ويبينونه على سبيل الاحتمال، فيشتبه الأمر على المتأخرين، ولمَّا لم تكن أساليبُ البيان منقحةً في ذلك العصر، فربما يشتبه التفسير على سبيل الاحتمال بالتفسير مع الجزم، فيذكرون أحدهما مكان الآخر، وهذا أمر اجتهادي، وللنظر العقلي فيه مجال، ورَكضُ جيادِ القيل والقال هناك ممكن.

ومن حفظ هذه النكتة فإنه يستطيع أن يحكم حكمًا فَصلاً في كثير من مواضع الاختلاف بين المفسرين، ويمكن أن يعلم في كثير من مناظرات الصحابة ﷺ: أنها ليست آرائَهم القطعيةَ، بل هي

في هذا القسم: أي في الصورتين المذكورتين، وهما تصوير ما صدقت إلخ. **ومن جملة ذلك**: أي من الآثار المروية في كتب التفسير. **فيستقصِي**: استَقْصَى الأمر: بلغ أقصاه في البحث عنه. **أبقعَ**: سياه وسفيد داغول والا.

في هذا الباب: أي في بيان القصص في تفسير الآيات.

بُحوث علمية، يتداولها المجتهدون فيما بينهم.

وعلى هذا المحمل يُحْمِل العبد الضعيف قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[١]: "لا أجد في كتاب الله إلا المسح، لكنهم أَبَوْا إلا الغَسل"* فالذي يفهمه الفقير: أنه ليس هذا بذهاب منه إلى وجوب المسح، وليس فيه جَزْم بحمل الآية على ركنية المسح، بل الذي ثبت عند ابن عباس رضي الله عنهما هو الغَسْل، ولكنه يقرِّر هُنا إشكالاً، ويُبدي احتمالاً ليرى كيف يُطبِّق علماءُ عصره في هذا التعارض؟ وأيَّ مسلك يسلكونه؟ فزعم الذي لم يطَّلِعْ على حقيقة محاورات السلف هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعدَّه مذهباً له، حاشاه! ثم حاشاه!!

النقل عن بني إسرائيل دَسِيْسَة دخلت في ديننا:

النكتة الثانية: هي أن النقل عن بني إسرائيل **دسيسة** دخلت في ديننا بعد ما كانت قاعدةُ: "لاتصدقوا أهلَ الكتاب ولا تكذِّبوهم"** مقررةً، فلزم لأجل ذلك أمران:

الأول: أن لا يُرتكب النقلُ عن أهل الكتاب إذا وجد في سنة نبينا ﷺ بيان لتعريض القرآن، مثلاً حينما وجد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٢] محمَل في السنة النبوية – وهو قصةُ تركِ "إن شاء الله" والمؤاخذة عليه – فأَيّ حاجة إلى ذكر قصةِ صَخْرِ المارد؟!.

والثاني: أن يُتكلَّم بقدر اقتضاء التعريض نظرًا إلى قاعدة: "**الضروري يتقدَّر** بقدر الضرورة"،

دسيسة: ما أكمِنَ من المكر والعداوة (خفيه سازش و عداوت). **الضروري يتقدَّر إلخ:** القاعدة الحادية والعشرون في شرح القواعد الفقهية للشيخ الزرقاء (ص: ١٣٣).

* والأثر في روح المعاني (٦:٧٧) ومعناه: أن ظاهر الكتاب يوجب المسح على قراءة الجر، ولكن الرسول ﷺ وأصحابَه لم يفعلوا إلا الغسل، ففي كلامه هذا إشارة إلى أن قراءة الجر مؤولة متروكة الظاهر بعمل رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم (روح المعاني) ** رواه البخاري كما في المشكاة رقم الحديث: ١٥٥ كتاب الإيمان باب الاعتصام إلخ، وفيه النهي عن تصديق أهل الكتاب فيما لا يعرف صدقه من قبل الكتاب والسنة، وفي النقل عنهم من غير رَدٍّ عليهم تصديق لهم فلا يجوز، ولكن الناس تساهلوا في هذا الباب.

[١] المائدة: ٦. [٢] ص: ٣٤.

لِيُمكن تَصديقه بشهادة القرآن، ولْيَكُفَّ لسانه عن الزيادة عليه.

تفسير القرآن بالقرآن:

وههنا نكتة لطيفة إلى الغاية، لابد من معرفتها، وهي: أنها قد تُذكر في القرآن العظيم **قصةٌ** في موضع بالإجمال، وفي موضع آخر بالتفصيل، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، ثم قال بعد ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٢]، فهذا القول الثاني هو القول الأول بنوع من التفصيل، فيمكن أن يُعلَم به تفسيرُ ذلك الإجمال، ويركض من الإجمال إلى التفصيل.

ومثلاً: ذَكرَ في سورة مريمَ قصةَ سيدنا عيسى عليه السلام إجمالاً، فقال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[٣]، وذُكرت في سورة آل عمران تفصيلاً، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤] الآية، ففي هذه المقولة بشارة تفصيلية، وتلك المقولةُ بشارة إجمالية، فمن ثَمَّ استنبط العبد الضعيف أن معنى الآية: "ورسولاً إلى بني إسرائيل، مُخْبِرا بأني قد جئتكم"، وهذا كلُّه داخل في حيِّز البشارة ليس بمتعلق بمحذوف، كما أشار إليه السُّيوطي، **حيثُ قال**: "فلما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل قال لهم: "إني رسول الله إليكم بأني قد جئتكم" والله أعلم.

وجه اختلاف السلف في شرح غريب القرآن وكيف يَخرج المفسر من العهدة في ذلك:

ومن جملة ذلك: شرح الغريب، ومبناه على تَتَبُّع لغة العرب، أو **التفطُّن** بسياق الآية **وسباقها**،

قصةٌ: يعني مضمونًا، لا قصةً معروفةً فقط. **حيثُ قال**: تفسير الجلالين ص: ٥١. **ومن جملة ذلك**: أي من الآثار المروية في كتب التفسير. **التفطُّن**: أي تنبَّه له. **وسباقها**: السياق- بالياء التحتانية - هو القرينة اللحقة، والسباق - بالباء الموحَّدة - هو القرينة السابقة.

[١] البقرة: ٣٠. [٢] البقرة: ٣٣. [٣] مريم: ٢١. [٤] آل عمران: ٤٩.

ومعرفةِ مناسبةِ اللفظ بأجزاء الجملة التي وقع هو فيها فههنا أيضًا للعقل مدخل، وللاختلاف مجال؛ لأن الكلمة الواحدة تأتي في لغة العرب لمعان شتَّى، وتختلف العقول في تتبُّع استعمالات العرب، والتفطُّنِ بمناسبة السابق واللاحق، ولهذا اختلفت أقوال الصحابة والتابعين ﷺ في هذا الباب، وسلك كل منهم مسلكاً.

فلابد للمفسّر المنصف أن يَزِنَ شرح الغريب مرتين:

مرةً في استعمالات العرب حتى يعرف أيُّ وجهٍ من وجوهها أقوى وأرجح.

ومرة أخرى في مناسبة السابق واللاحق، حتى يعلَمَ: أيُّ الوَجْهين أولى **وأقعد** بعد إحكام المقدِّمات، وتتبع موارد الاستعمال، وتفحُّص الآثار.

استنباطات العبد الضعيف في شرح الغريب:

وقد استنبطَ الفقير في هذا الباب استنباطاتٍ **طازجة** لا يخفى لطافتها إلا على **المتعسِّف** غليظِ الطبع، مثلاً:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[1] حملتُه على معنى: "تَكَافُؤ القتلى، ومشاركة بعضهم مع بعض في حكم واحد" لئلا يحتاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ إلى **مَؤُوْنَةِ** النسخ، ولا يضطر إلى توجيهات تضمحِلُّ بأدنى التفات.

وكذلك حملتُ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[2] على معنى: "يسألونك عن الأشهُر" أي أشْهُر الحج، فقال تعالى: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

وهكذا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[3] أي: لأول جمع الجنود؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ

وأقعد: الأقعَدُ و القعيد: الأقرب. **طازجة:** الطازج: الجديد الحديث معرب تازه. **المتعسِّف:** ضد المنصف من تعسَّف فلاناً: ظلمه. **مَؤُوْنَةِ:** سختی، بوجه، مشقت۔

(1) البقرة: ١٧٨. (2) البقرة: ١٨٩. (3) الحشر: ٢. (4) الشعراء: ٣٦.

﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾[1]، وهذا أوفق بقصة بني النضير، وأقوى في بيان المنَّة.

اختلاف المتقدمين والمتأخرين في معنى "النسخ"

مما أوجب الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة:

ومن جملة ذلك: بيان الناسخ والمنسوخ، وينبغي أن تُعرف هنا نكتتان:

الأولى: أن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كانوا يستعملون "النسخ" بغير المعنى الاصطلاحي المعروف بين الأصوليين، ومعناهم قريب من المعنى اللغوي الذي هو "الإزالة".

فمعنى النسخ عندهم: إزالةُ بعض أوصاف الآية المتقدِّمة بالآية المتأخرة، سواء كان ذلك ببيان انتهاء مدة العمل بها، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، أو ببيان كون قيد من القيود مُقْحماً، أو بتخصيص عام، أو ببيان الفارق بين المنصوص وبين ما قيس عليه ظاهرًا، أو ما أشبه ذلك.

وهذا باب واسع، وللعقل فيه مجال، وللاختلاف فيه مساغ، ولهذا أبلغوا الآيات المنسوخةَ إلى خمس مِائَة آية.

ربما يُجعل الإجماعُ علامةً للنسخ:

والثانية: أن الأصل في بيان النسخ بالمعنى الاصطلاحي هو معرفة تاريخ النزول، ولكنهم ربما يجعلون إجماعَ السلف الصالح، أو اتفاق جمهور العلماء على شيء علامةً للنسخ فيقولون به، وقد فعل ذلك كثير من الفقهاء، ويمكن أن يكون في مثل هذه المواضع، ما تصدُق عليه الآية غيرَ ما ينطبق عليه الإجماع.

وبالجملة: ففي الآثار التي تنبئ عن النسخ **غمر** عظيم، يصعب الوصول إلى غوره.

غَمْر: الماء الكثير ومعظم البحر، والجمع غِمار وغُمور.

[1] النمل: ١٧.

أمور أُخَرُ يذكرونها في التفاسير:

وللمحدثين أشياء أخرُ خارجة عن هذه الأقسام يوردونها أيضًا في تفاسيرهم، كمناظرة الصحابة رضي الله عنهم في مسألة واستشهادِهم بآية، أو تمثيلهم بآية من الآيات، أو تلاوةِ النبي ﷺ آيةً من الآيات، أو روايةِ حديث يوافق الآية في أصل معناها، أو طريقِ التلفظ بالنقل عن النبي ﷺ أو الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الثاني

في بقية لطائف هذا الباب

الكلام حول استنباط الأحكام:

ومن جملة ذلك: استنباط الأحكام، وهذا الباب واسع جدًّا، وللعقل مجال فسيح في الاطلاع على **فَحَاوَى** الآيات **وإيماءاتها واقتضاءاتها**، والاختلاف **بجذافيره** حاصل فيه، وقد ألقى الله تعالى في رُوح الفقير حَصْرَ الاستنباطات في **عشرة أقسام**، والترتيبَ فيما بينها، **وتلك المقالة** ميزان عظيم لوزن كثير من الأحكام المستنبطة.

التوجيه في تفسير القرآن الكريم:

ومن جملة ذلك: التوجيه، وهو فن كثير الشُّعَب، يستعمله الشراح في شرح المتون، ويُختبر به

ومن جملة ذلك: أي من جملة فنون التفسير ومناهجه. **فَحَاوَى**: الفحوى: أن يُفهم الكلامُ حالَ المسكوت عنه بواسطة المعنى الحاملِ على الحكم، مثلُ: "لاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ" يُفهَم منه حرمةُ الضرب بطريق الأولى. **إيماءاتها**: والإيماء: أن يكون أداء المقصود بعبارات بإزاء الاعتبارات المناسبة، كالتقييد بالوصف والشرط يدلان على عدم الحكم عند عدمهما. **اقتضاءاتها**: والاقتضاء: أن يُفهم الكلامُ حالَ المسكوت عنه بواسطة لزومه للمستعمل فيه عادة أو عقلاً أو شرعًا، كقوله: "بعتُ" يقتضي سَبْقَ الملك شرعًا. **بجذافيره**: أي بأسره جمع الْجِذْفار والْجُذْفور: الجانب والناحية. **عشرة أقسام**: وهي: ١- ما صُرِّح فيه بثبوت الحكم للموضوع له عيناً، وسيق الكلام لأجله. ٢و٣و٤- ما عُدم فيه أحد القيود الثلاثة ٥- الفَحْوى ٦- الاقتضاء ٧- الإيماء ٨- الدرج في العموم ٩- الاستدلال بالملازمة أو المنافاة ١٠- القياس. **تلك المقالة إلخ**: والمقالة في "حجة الله البالغة" (١:٣٠٣).

ذكاؤهم، ويَظهر به تفاوتُ درجاتهم.

وقد تكلم الصحابة ﷺ - وإن لم تكن أصولُ التوجيه منقَّحة في عصرهم - في توجيه الآيات الكريمة، وأكثروا منه.

وحقيقة التوجيه: أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلامِ مؤلِّفٍ، يقف الشارح هناك، فيحُلُّ تلك الصعوبة. ولما لم تكن أذهانُ قُرَّاءِ الكتاب في مرتبة واحدة، لم يكن "التوجيه" أيضًا في مرتبة واحدة، فالتوجيه بالنسبة إلى المبتدئين غيرُ التوجيه بالنسبة إلى المنتهين، إذ ربما يخطر ببال المنتهي صعوةُ فَهْم، فيحتاج إلى حلها، والمبتدي غافل عنها، بل لا يقدر أن يُحيط بها، وكثير من الكلام يستصعبُه المبتدي، ولا يحصل في ذهن المنتهي شيء من الصعوبة هناك، فالذي أحاط بجوانب العقول يراعي حالَ جمهور القراء، ويتكلم على قدر عقولهم.

فعمدة التوجيه:

في آيات الجدل: تحرير مذاهب الفِرَق الباطلة، وتنقيح وجوه الإلزام.

وفي آيات الأحكام: تصوير صورة المسألة، وبيان فوائد القيود، من الاحتراز أو غيره.

وفي آيات التذكير بآلآء الله: تصوير تلك النِّعَم وبيان مواضعها الجزئية.

وفي آيات التذكير بأيام الله: بيان ترتُّبِ بعض القصص على البعض، وإيفاءُ حقّ التعريض الذي يَرِدُ في أثناء سَرْدِ القصة.

وفي التذكير بالموت وما بعدَه: تصوير تلك الأمور، وتقرير تلك الحالات.

أنواع التوجيه:

ومن فنون التوجيه:

١- تقريب ما كان بعيدًا عن الفهم بسبب عدم الألفة به.

٢- ودفع التعارض بين الدليلين أو التعريضين، أو فيما بين المعقول والمنقول.

٣- والتفريق بين الملتَبِسين.

٤- والتطبيق بين المختلفين.

٥- وبيان صدقِ الوعدِ الذي أشير إليه في الآية.

٦- وبيان كيفية عمل النبي ﷺ بما أُمر به في القرآن العظيم.

وبالجملة: فالتوجيه كثير في تفسير الصحابة، ولا يُقضى حقُّه حتى يُبيِّن المفسر وجهَ الصعوبة مفصلاً، ثم يتكلم في حل الصعوبة بالتفصيل، ثم يَزِنُ تلك الأقوال وزناً عدلاً.

غلوُّ المتكلمين:

وأما غلو المتكلمين في تأويل المتشابهات وبيانِ حقيقةِ الصفات، فليس هذا من مذهبي، بل مذهبي مذهب مالك والثوري وابن المبارَك وسائر المتقدمين، وهو: إمرَارُ المتشابهات على ظواهرها وترك الخوض في تأويلها.

الجدال في القرآن:

والنزاع في الأحكام المستنبطة، وإحكامُ مذهبِ نفسِه، وهَدْمُ مذهب الآخرين، والاحتيال لدفع الأدلة القرآنية، كل ذلك ليس بصحيح عندي، وأخشى أن يكون ذلك من قبيل "**التَّدَارُؤ بالقرآن**"، وإنما اللازم أن يَطْلب مدلولَ الآيات ويتخذه مذهباً له، سواء ذهب إليه الموافق أو المخالف.

لغة القرآن:

وأما لغة القرآن فينبغي أخذُها من استعمالات العرب الأولين، وأن يعتمد كلِّيًا على آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

التَّدَارُؤ بالقرآن: التدارؤ: التدافع، تدارئًا: تدافعاً في الخصومة ونحوها، ويحرم التدارُؤ بالقرآن بقول النبي ﷺ: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا: ضربوا كتابَ الله بعضه ببعض".

نحوُ القرآن:

وقد وقع في نَحوِ القرآن خلل عجيب، وهو أن طائفة من المفسرين اختاروا مذهبَ سيبويهِ، فيؤولون كلَّ ما خالف مذهبه، وإن كان التأويل بعيدًا، وهذا لا يصح عندي، بل ينبغي اتباع الأقوى والأوفقِ بالسياق والسباق، سواء كان مذهبَ سيبويهِ، أو مذهب **الفراء**.

وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]: "ستُقِيمُهَا العرب بألسِنَتِهَا"، وتحقيق هذه الكلمة عندي: أن مخالفة التعبيرات المشهورة أيضًا تعبير صحيح، وكثيرًا ما يتفق للعرب الأولين: أن يجريَ على ألسنتهم في أثناء الخطب والمحاورات ما يخالف القاعدة المشهورة، ولما نزل القرآن الكريم بلغة العرب الأولين، فلا عجب: أن جاءت "الياء" في موضع "الواو" أحياناً، أو وقع المفرد مقام التثنية، أو ورد المؤنث مقام المذكر، فالمحقق عندي: أن يفسَّر "والمقيمين الصلاة" بمعنى المرفوع، والله أعلم.

علم المعاني والبيان:

وأما المعاني والبيان **فهو** علم حادث بعد انقراض عصر الصحابة والتابين رضي الله عنهم، فما كان منه مفهوماً في عرف جمهور العرب فهو على الرأس والعين، وأما ما كان منه مخفياً لا يدركه إلا المتعمقون من أرباب الفن، فلا نسلم أنه مطلوب في القرآن الكريم.

إشارات الصوفية:

وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم فإنها ليست في حقيقة الأمر من علم التفسير، بل يحدُث عند استماع القرآن الكريم أشياءُ في قلب السالك، وتتولّد تلك الأشياءُ في قلبه بين النظم القرآني وبين الحالة التي يتَّصف بها، أو بين المعرفة التي يملكها، كمثل رجل يسمع قصة ليلى والمجنون، فيتذكر

الفراء: هو يحيى بن زياد أبو زكريا الكوفي، المعروف بالفرَّاء، توفي سنة ٢٠٧ هـ. **فهو:** أرجع ضمير المفرد؛ لأنهما كعلم واحد.

[1] النساء: ١٦٢.

عشيقته، ويستعيد الذكريات التي كانت بينه وبينها.

فن الاعتبار:

وهُنا فائدة مهمة ينبغي الاطلاع عليها، وهي: أن النبي ﷺ جعل "فن **الاعتبار**" معتبرًا، وسلك ذلك المنهج ليكون سنةً لعلماء الأمة، وفتحًا لباب العلوم الموهوبة لهم:

كما أن النبي ﷺ تمثّل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[1] في مسألة القدر، وإن كان منطوقُ الآية: أن من عمل بهذه الأعمال نُهديه إلى طريق الجنة والنعيم، ومن عمل بضدها نفتح له طريقَ النار والتعذيب، ولكن يمكن أن يُعلم بطريق "الاعتبار": أن الله تعالى خلق كلَّ أحد لحالة خاصة، ويُجري عليه تلك الحالةَ من حيث يدري أو لا يدري، فبهذا الاعتبار كان لهذه الآية الكريمة ارتباطٌ بمسألة القدر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2] فالمعنى المنطوق لهذه الآية الكريمة: أن الله تعالى عرَّف كل نفس بالبر والإثم، ولكن لما كانت بين خلقِ الصورة العلمية للبر والإثم، وبين البر والإثم الموجودان بالإجمال وقت نفخ الروح مشابهةٌ يمكن الاستشهاد بهذه الآية في مسألة القدر أيضًا من طريق الاعتبار، والله أعلم.

الفصل الثالث

في بيان **غرائب** القرآن الكريم

لُيعلم أن غرائب القرآن الكريم التي خُصِّصت في الأحاديث بمزيد من الاهتمام **وببيان الفضل** أنواع:

هُنا: أي عند ذكر اعتبارات الصوفية. **الاعتبار:** هو العبور والانتقال من الشيء إلى غيره، وهو أعم من القياس الشرعي. **غرائب:** جمع غريبة، تأنيث الغريب من غَرُبَ الكلامُ غَرَابَةً: خفي، والمراد هنا: الطريقة النادرة البديعة (انوكهى آيات). **ببيان الفضل:** أى السور والآيات التي ورد فيها فضل خاص ولها ميزة خاصة.

(١) الليل: ٥. (٢) الشمس: ٧.

١- فالغريبة في فن التذكير بآلاء الله: هي آية جامعة لجملة عظيمة من صفات الحق تعالى، مثلُ آية الكرسي، وسورة الإخلاص، وآخر سورة الحشر، وأول سورة المؤمن.

٢- والغربية في فن التذكير بأيام الله: هي آية يبين فيها قصة نادرة، أو قصة معلومة بجميع تفاصيلها، أو قصة جليلة الفوائد التي تكون محلاً للاعتبارات الكثيرة، ولهذا قال النبي ﷺ في قصة موسى و**الخَضِر** عليهما السلام: "وَدِدْنا أن موسى كان صبر حتى يَقُصَّ الله علينا من خبرهما" *.

٣- والغريبة في فن التذكير بالموت وما بعدَه: هي آية تكون جامعة لأحوال القيامة مثلاً، ولذا ورد في الحديث الشريف: "من سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيُ عينٍ، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾"**.

٤- والغريبة في فن الأحكام: هي آية تكون مشتملةً على بيان الحدود، وتعيين الأوضاع الخاصة، كمثل تعيين مائة جَلدة في حد الزنا، وتعيين ثلاثِ حِيَض أو ثلاثة أطهار لعدة المطلقة، وتعيين أنصباء المواريث.

٥- والغريبة في فن الجدل: هي آية يَرِدُ فيها سَوْقُ الجواب بنهج غريب، يقطع الشبهةَ بأبلغ وجهٍ، أو يُبَيَّن فيها حالُ فريق من تلك الْفِرَقِ بِمثَلٍ واضح، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[1]، وكذا يبيَّن فيها شناعةُ عبادة الأصنام، والفرقُ بين مرتبة الخالق والمخلوق، والمالك والمملوك بأمثلة عجيبة، أو إحباطُ أعمال أهل الرياء والسُّمعة بأبلغ وجه.

٦- وغرائب القرآن ليست بمحصورة في الأبواب المذكورة، فأحياناً تكون غريبة من جهة بلاغة القرآن وإناقة أسلوبه، مثل سورة الرحمن، ولهذا سميت في الحديث **بعَروس القرآن**، وأحياناً تكون غريبة من جهة تصوير صورة سعيد وشقي.

الخَضِر: - بفتح فكسر- الزرع الغَضُّ الأخضر. سمي العبد الصالح به؛ لأنه قعد مرة في مكان يابس فاخضرت الأرض كما في رواية البخاري رقم الحديث: ٣٤٠٢. **بعَروس القرآن:** المشكوة ١٨٩ في فضائل القرآن.

* صحيح البخاري ص: ٦٨٧، كتاب التفسير في تفسير سورة الكهف. ** سنن الترمذي (١٦٨:٢).

(١) البقرة: ١٧.

ظَهْرُ القرآن وبَطنه

لقد ورد في الحديث الشريف: "لكل آية منها ظَهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ ولكلّ حدٌّ مُطَّلَع" *
فينبغي أن يُعلَم أن ظهر هذه العلوم الخمسة: هو مدلول الكلام ومنطوقه، والبطن: في التذكير بآلآء الله: هو التفكُّر في آلاء الله، ومراقبةُ الحق سبحانه وتعالى.

وفي التذكير بأيام الله: هو معرفة مناط المدح والذم، والثواب والعقاب من تلك القصص، والاتِّعاظُ بها.

وفي التذكير بالجنة والنار: هو ظهور الخوف والرجاء، وجَعلُ تلك الأمور كأنها بمَرْأى منه.

وفي آيات الأحكام: هو استنباط الأحكام الخفيَّة بالفَحَاوَى والإيماءات.

وفي مُحَاجَّة الفِرَقِ الباطلة: هو معرفةُ أصلِ تلك القبائح، وإلحاق مثلها بها.

ومُطَّلَع الظهر: هو معرفة لغة العرب والآثار المتعلقة بعلم التفسير.

ومطلع البطن: هو لطفُ الذهن واستقامة الفهم مع نور الباطن وسكينة القلب، والله أعلم.

الفصل الرابع

في بيان بعض العلوم الوهبية

من العلوم الوهبية في علم التفسير التي سبقت الإشارةُ إليها:

١- تأويل قصص الأنبياء عليهم السلام، وللفقير في هذا الموضوع رسالة مسماة "**بتأويل الأحاديث**"، والمراد من التأويل: هو أن يكون لكل قصة وقعت مبدأ من استعداد الرسول واستعداد قومه بحسب تدبير الله الذي أراده في ذلك الوقت، وكأنه أشار إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

---

*رواه الطبراني في "الكبير"، والبغوي في "شرح السنة"، ورمز له السيوطي في "الجامع الصغير" بـــ (ح) أي أنه حديث حسن، وأوله: "أنزل القرآن على سبعة أحرُف، لكل حرف منها إلخ، وفي رواية: لكل آية منها إلخ.

بتأويل الأحاديث: رسالة مطبوعة، قصد المصنف فيها إثبات المعجزات والتدليل عليها للفلاسفة والعقلانيين، ولكن تأويلاته فيها لا يتفق كلياً مع ظواهر النصوص فليتنبه له.

٢- ومنها: تنقيح العلوم الخمسة التي هي منطوق القرآن العظيم، وقد مَرَّ تفصيلها في أول الرسالة، فَلْيُرجَع إليه.

٣- ومنها: ترجمة القرآن الكريم باللغة الفارسية بوجه قريب من النص العربي في مقدار الكلمات، وفي التخصيص والتعميم، وغير ذلك، وسميتها بـــ "فتح الرحمن في ترجمة القرآن"، وقد تركتُ هذا الشرط في بعض المواضع خوفاً من عدم فهم القارئ بدون تفصيل.

٤- ومنها: علم خواصِّ القرآن الكريم، وقد تكلَّم جماعة من المتقدمين في خواص القرآن من وجهين: وجهٍ كالدعاء، ووجهٍ كالسِّحر، أعوذ بالله منه، وقد فتح الله على الفقير بابًا وراء ما نُقل من خواص القرآن، ووضعَ في حِجرِي جميعَ الأسماء الحسنى، والآيات العظمى، والأدعية المباركة مرة واحدة، وقال: "هذا عطاؤنا للاستعمال"، ولكنَّ كلَّ آية واسم ودعاء مشروط بشروط لا تضبطها قاعدة، بل قاعدتها: انتظار عالَم الغيب كما يكون في حالة الاستخارة، حتى ينظر بأيِّ آية أو اسم يشار إليه من عالم الغيب، **فيقرأ** تلك الآية، أو الاسم على طريقة مقررة عند أهل الفن. وهذا ما قصدت إيراده في هذه الرسالة، والحمد لله أولاً وآخرًا، **وظاهرًا وباطنًا**.

فيقرأ: قوله: "فيقرأ" أي للمريض أو لنفسه، فهذا من الرُّقى المسنونة. **وظاهرًا وباطنًا:** والفصل الخامس الذي يبحث فيه عن الحروف المقطعات خارج من الباب الرابع، كما يدل عليه هذا الاختتام، وكذا ليس بشامل في الدرس، فلذا حذفناه من الكتاب؛ إذ ليس فيه كبير فائدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله على النبي الكريم وآله وصحبه أجمعـــين،

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
طوائف المفسرين	٨٩
جوامع التفاسير	٩٠
ما منَّ الله به عليَّ في علم التفسير	٩٠
تفسير كون المصنف أويسياً	٩٠
تفسير الكعبة الحسناء والصلاة العظمى	٩٠
الفصل الأول: في بيان الآثار المروية في تفاسير	
أصحاب الحديث وما يتعلق بها	٩١
قسمان من أسباب النزول	٩١
معنى قولهم: "نزلت الآية في كذا"	٩١
أمور في التفسير لا طائل تحتَها	٩٢
القدماء ربما يفسِّرون على سبيل الاحتمال	٩٢
النقل عن بني إسرائيل دَسِيْسَة دخلتْ في ديننا	٩٣
تفسير القرآن بالقرآن	٩٤
وجه اختلاف السلف في شرح غريب القرآن،	
وكيف يَخرج المفسر من العهدة في ذلك	٩٤
استنباطات العبد الضعيف في شرح الغريب	٩٥
اختلاف المتقدمين والمتأخرين في معنى "النسخ" مما	
أوجب الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة	٩٦
ربما يُجعل الإجماعُ علامةً للنسخ	٩٦
أمور أُخَرُ يذكرونها في التفاسير	٩٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: في بقية لطائف هذا الباب	٩٧
الكلام حول استنباط الأحكام	٩٧
التوجيه في تفسير القرآن الكريم	٩٧
أنواع التوجيه	٩٨
غلوُّ المتكلمين	٩٩
الجدال في القرآن	٩٩
لغة القرآن	٩٩
نحوُ القرآن	١٠٠
علم المعاني والبيان	١٠٠
إشارات الصوفية	١٠٠
فن الاعتبار	١٠١
الفصل الثالث: في بيان غرائب القرآن الكريم	١٠١
ظَهْرُ القرآن وبَطنه	١٠٣
مطّلع الظهر والبطن	١٠٣
الفصل الرابع: في بيان بعض العلوم الوهبية	١٠٣
(١) تأويل قصص الأنبياء	١٠٣
(٢) تنقيح العلوم الخمسة	١٠٤
(٣) ترجمة القرآن الكريم بالفارسية	١٠٤
(٤) علم خواص القرآن الكريم	١٠٤

طبع شدہ رنگین مجلد

- تفسیر عثمانی (۲ جلد)
- خطبات الاحکام لجمعات العام
- الحزب الاعظم (مہینے کی ترتیب پر)
- الحزب الاعظم (ہفتے کی ترتیب پر)
- لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
- فضائل حج
- حصن حصین
- تعلیم الاسلام (مکمل)
- خصائل نبوی شرح شمائل ترمذی
- بہشتی زیور (تین حصے)
- بہشتی زیور (مکمل)
- معلم الحجاج

رنگین کارڈ کور

- حیات المسلمین
- تعلیم الدین
- جزاء الاعمال
- الحجامہ (پچھنا لگانا) (جدید ایڈیشن)
- الحزب الاعظم (مہینے کی ترتیب پر) (جیبی)
- الحزب الاعظم (ہفتے کی ترتیب پر) (جیبی)
- مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
- عربی زبان کا آسان قاعدہ
- فارسی زبان کا آسان قاعدہ
- تاریخ اسلام
- علم الصرف (اولین، آخرین)
- عربی صفوۃ المصادر
- جوامع الکلم مع چہل ادعیہ مسنونہ
- عربی کا معلم (اول، دوم، سوم، چہارم)
- نام حق
- کریما
- آسان اُصول فقہ
- تیسیر الابواب
- فصول اکبری
- نماز مدلل
- عم پارہ
- عم پارہ درسی
- نورانی قاعدہ (چھوٹا/ بڑا)
- تیسیر المبتدی
- آداب المعاشرت
- زاد السعید
- روضۃ الادب
- فضائل حج
- معین الفلسفہ
- خیر الاصول فی حدیث الرسول
- معین الاصول
- تیسیر المنطق
- فوائد مکیہ
- بہشتی گوہر
- علم النحو
- جمال القرآن
- تسہیل المبتدی
- تعلیم العقائد
- سیر الصحابیات
- پند نامہ
- صرف میر
- نحو میر
- میزان ومنشعب
- پنج سورۃ
- سورۃ یٰس
- آسان نماز
- منزل

کارڈ کور/مجلد

- اکرام مسلم
- مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
- منتخب احادیث
- فضائل اعمال

المطبوعة ملونة مجلدة

- الصحيح لمسلم (٧ مجلدات)
- الهداية (٨ مجلدات)
- التبيان في علوم القرآن
- شرح العقائد
- تفسير الجلالين (٣ مجلدات)
- مختصر المعاني (مجلدين)
- الهدية السعيدية
- القطبي
- أصول الشاشي
- شرح التهذيب
- تعريب علم الصيغه
- البلاغة الواضحة
- ديوان المتنبي
- المقامات الحريرية
- آثار السنن
- الموطأ للإمام محمد (مجلدين)
- الموطأ للإمام مالك (٣ مجلدات)
- مشكاة المصابيح (٤ مجلدات)
- تفسير البيضاوي
- تيسير مصطلح الحديث
- المسند للإمام الأعظم
- الحسامي
- نور الأنوار (مجلدين)
- كنز الدقائق (٣ مجلدات)
- نفحة العرب
- مختصر القدوري
- نور الإيضاح
- ديوان الحماسة
- النحو الواضح (ابتدائيه، ثانويه)

ملونة كرتون مقوي

- شرح عقود رسم المفتي
- متن العقيدة الطحاوية
- المرقاة
- زاد الطالبين
- عوامل النحو
- هداية النحو
- إيساغوجي
- شرح مائة عامل
- متن الكافي مع مختصر الشافي
- هداية النحو (مع الخلاصة والتمارين)
- المعلقات السبع
- السراجي
- الفوز الكبير
- تلخيص المفتاح
- دروس البلاغة
- الكافية
- تعليم المتعلم
- مبادئ الأصول
- مبادئ الفلسفة
- هداية الحكمت
- شرح نخبة الفكر

ستطبع قريبا بعون الله تعالى

ملونة مجلدة/ كرتون مقوي

- الصحيح للبخاري
- شرح الجامي
- بيان القرآن (مكمل)
- الجامع للترمذي
- مکمل قرآن مجید حافظی ۱۵ سطری

Books in English

Tafsir-e-Uthmani (Vol. 1, 2, 3)	Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)
Key Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)	Al-Hizbul Azam (Large) (H. Binding)
Al-Hizbul Azam (Small) C Cover)	

Other Languages

Riyad Us Saliheen (Spanish) (H. Binding)	Fazail-e-Aamal (German)
Muntakhab Ahdees (German) (H. Binding)	

To be published Shortly Insha Allah

Al-Hizbul Azam (French) (Coloured)